

# الدلائل

في معرفة المسائل الخلافية

المركز العالمي للمستبصرين

سرشناسه	:	میرسجادی، سیدمرتضی، ۱۳۴۵ -
عنوان و نام پدیدآور	:	الدلائل فی معرفة المسائل الخلافية/ السيدمرتضى میرسجادی.
مشخصات نشر	:	قم: محلاتی، ۱۴۴۱ق. = ۱۳۹۹.
مشخصات ظاهری	:	۲۲۴ص.؛ ۱۷×۱۱ س.م.
شابک	:	۷-۶۲-۹۶۸۴۶۶۸-۶۲۲-۹۷۸: ۱۸۰۰۰۰ ریال
وضعیت فهرست نویسی	:	فبیا
یادداشت	:	عربی.
یادداشت	:	کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع	:	اسلام -- مطالب گونه گون
موضوع	:	Islam -- Miscellanea
رده بندی کنگره	:	۱۱BP
رده بندی دیویی	:	۲۹۷/۰۲
شماره کتابشناسی	:	۶۲۱۷۶۷۵
ملی	:	



## الكتاب: الدلائل في معرفة المسائل الخلافية

المؤلف: المركز العالمي للمستبصرين

الناشر: محلاتي

المطبعة: اصيل

الاخراج الفني: كومبيوتر المجتبی عائلي - ۳۷۸۳۰۱۶۲

الکمية: ۲۰۰۰ نسخة / الحجم: جیبی / قیمت: ۱۸۰۰۰ تومان

الطبعة: الاولى ۱۳۹۹ هـ . ش - ۱۴۴۱ هـ ق

الشابک: ۷ - ۲ - ۹۶۸۴۶ - ۶۲۲ - ۹۷۸

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين سيما بقية الله في الأرضين. أن من الممارسات والأنشطة الدينية السيئة من قبل فئات من المسلمين هو تناول المخالفين لهم بالتشكيك وإثارة الشبهات وتراكم الأسئلة حولهم في المجتمع الإسلامي؛ لإضعاف الإيمان في النفوس، ونشر بذر التفرقة بين المسلمين، بغية الصدّ من انتشار الحقائق وما يدل على الصواب من العقيدة والفكر؛ ساعين إلى إلقاء

كل ما يمكنهم من بث التردد فيما يطرحه علماء الإسلام  
و محققهم.

وهناك من المسلمين من هو طالب حق يأمل في  
الوصول إلى الحقيقة والواقع لمعرفة المسائل الدينية، بأن  
يدرس دراسة علمية موضوعية ليميز بها الصحيح عن  
السقيم، وذلك من خلال ملاحظة الأدلة التشريعية  
للافتداء إلى نتائج هامة والوصول إلى الواقع وتصحيح  
المخزون الفكري الباطل لديه من خلال ما حصل له من  
خبرة في هذا المجال .

ولا شك أن كتاب الدلائل إلى معرفة المسائل الخلافية  
من الكتب المعدة لهذا الغرض، وفيه الإجابة عن الشبهات  
والتساؤلات التي يثيرها السلفية والجهلة في قبال ما دلّ  
على الصواب من العقيدة والإيمان الصادق والعمل  
بكتاب الله تعالى وبسنة نبينا محمد ﷺ، والدعوة إلى ما  
جاء به من الهداية إلى الثقلين الذين أمر رسول الله ﷺ

بالتمسك بهما، وهما لا يفترقان أبداً .

والجدير بالذكر هنا أنّ نوره بأنّ مركز المستبصرين هو أحد المراكز التابعة لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام ذات النشاطات الواسعة سواء، العلمية منها أو الخدمية الذي حمل على عاتقه الإهتمام بأمور المستبصرين وخصوصاً ما يرتبط بمجال العلمي والثقافي .

وفي الختام نسأل العليّ القدير التوفيق لجميع ما يرضاه وأن يتقبل هذه البضاعة المزجاة بقبوله الحسن إنّه سميع الدعاء .

مركز المستبصرين

التابع لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين المعصومين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

إن جميع الأديان السماوية متفقة على التوحيد، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر سبحانه في وصف الأنبياء وأتباعهم أنهم كانوا مسلمين، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٢) سورة آل عمران: ٨٥.

عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿١﴾.

فأصل الدين عند الله هو الاعتقاد بالتوحيد والرسالة والمعاد، فجميع الأنبياء واتباعهم يشتركون في الإيمان الجامع بالله، ورسله، واليوم الآخر، وملائكته، وكتبه، غير أن شرائع الأنبياء متعددة.

والكل متفقون على عبادة الله قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup> أي لا أملك جلب نفع ولا دفع ضرر بالاستقلال وهذا هو إظهار للعبودية.

### معنى العبادة:

العبادة عبارة عن: الخضوع والتذلل القلبي والعملي واللفظي بقصد التعبد لله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَدُونُوا

---

(١) سورة آل عمران: ١٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٨.

الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿١﴾ . هذه الضابطة الكلية التي بينها القرآن الكريم، أي أن العبادة مختصة بالله سبحانه، ولا يصح إصدار هوية إسلامية لشخص إلا بعد الاعتراف بهذه الكبرى، وكل مسلم في شرق الأرض وغربها يخصّ العبادة والاستعانة بالله سبحانه في كل يوم في صلواته الخمسة فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٢) .

وأيضاً لا تتحقق العبادة إلا بالقصد، فإن السجود الذي هو إظهار نهاية التذلل، لا يكون عبادة إلا مع قصد العبادة، كما أن القرآن الكريم بيّن هذه الحقيقة بشكل واضح وذلك في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا...﴾ (٣) . فإن سجدة إخوة يوسف وأبويه له،

(١) سورة البينة: ٥.

(٢) سورة الفاتحة: ٥.

(٣) سورة يوسف: ١٠٠.



لم تكن بقصد العبادة له؛ وإنما كانت من أجل التعظيم والاحترام له، كسجود الملائكة لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان لأمر الله تعالى فلا يكون عبادة لآدم؛ وإنما سجدوا له تحيةً وتكريماً. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾<sup>(١)</sup>. وعلى فرض كونه عبادة كيف يأمر الله تعالى بعبادة غيره؟ مع أن الله ينهى عنها بتاتاً في جميع الشرائع من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الخاتم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>؟! وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي موضع آخر من الكتاب ذكر سبحانه التوحيد في العبادة: أصل مشترك بين جميع الشرائع السماوية، ومن هذا

(١) سورة البقرة: ٣٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٣) سورة النحل: ٣٦.

المنطلق يقول سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ  
سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup>. وإلى  
غير ذلك من الآيات التي فيها التصريح والدعوة إلى عبادة  
الله سبحانه والنهي عن عبادة غيره، وهذا أصل مشترك بين  
جميع الأنبياء عليهم السلام.

إذن ليست العبادة هي نفس الخضوع أو شدته، حتى أن  
السجود الذي هو إظهار نهاية التذلل لا يساوي العبادة ولا  
يعد بنفسه مجردا عبادة، فخضوع الولد أمام والده، والتلميذ  
أمام أستاذه، والجندي أمام قائده، ليس عبادة لهم وإن بالغوا  
في الخضوع والتذلل لهم حتى ولو قام الولد بتقبيل قدم  
والديه، فلا يعد عمله عبادة، لأنَّ العبادة تحتاج إلى ضم  
القصد والنية، وبذلك تنفصل العبادة عن الخضوع  
والاحترام المجرد؛ ولذلك فصل سبحانه وتعالى بين الأمرين

---

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾<sup>(١)</sup>. فإنَّ الإحسان بالوالدين على نحو العموم والإطلاق يشمل جميع مراتب الآداب والخضوع والاحترام بهما كما قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...﴾<sup>(٢)</sup>. وأقصى مراتب الذل بلا قصد العبادة لا يكون عبادة، حيث أنَّ البرَّ بالوالدين والإحسان إليهما من أعظم الأعمال وأحبها إلى الله سبحانه، كما ذكر سبحانه الإحسان إلى الوالدين بعد العبادة له، فلو كان الذل أمام الوالدين يعدُّ عبادة لنهى عنه سبحانه.

### الفرق بين العبادة والطاعة:

قال ابن تيمية: «العبادة اسم جامع لكلِّ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنية والظاهرية كالصلاة

(١) سورة الإسراء: ٢٣.

(٢) سورة الإسراء: ٢٤.

والزكاة والصيام، والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة،  
وبرّ الوالدين وصلة الأرحام»<sup>(١)</sup>.

وفي الحقيقة أنه لم يفرّق بين العبادة والطاعة، وتصور أنّ  
كلّ طاعة وعمل يوجب التقرب، فهو عبادة لله تعالى، في  
حين أنّ الأمر ليس كذلك، إذ هناك أمور توجب رضا الله،  
وتستوجب ثوابه لكنّها لا تكون عبادة، كالإحسان إلى  
الوالدين، وإعطاء المال في سبيل الله، وإصلاح أمور الناس  
وغيرها مما توجب القرب إلى الله ولا تكون عبادة.

نعم قد يكون العمل القربي عبادة كالصوم والصلاة  
والحج وأمثال ذلك؛ فيجب الإتيان به بقصد العبادة، فترتّب  
الثواب على العمل الذي يعد طاعة لله سبحانه أعم من  
العبادة وغيرها.

وبعبارة أخرى: أنّ الإتيان بالأعمال التي تستوجب رضى

---

(١) كتاب العبودية لابن تيمية: ص ٣٨.

الله، يعدّ طاعة لله ولكن ليس كل طاعة عبادة.  
وإن شئت قلت: إنّ هناك أموراً عباديّة وأموراً قربية،  
فكلّ عبادة مقرّبة، وليس كل مقرّب عبادة، فدعوة الفقير إلى  
الطعام، والعطف على اليتيم - مثلاً - توجب القرب ولكنّها  
ليست عبادة بمعنى أن يكون الآتي بها عابداً بعمله لله تعالى.  
وبالرغم من وضوح هذا الأمر يبدو قد خفي على ابن  
تيمية وسعى لنشر أفكاره المنبثق من تلك الزلة بين طلابه من  
أمثال (ابن القيم)، مما مهّد الأرضية للانتهازين والجهلة  
الذين جاؤوا بعدهم كمحمّد بن عبد الوهاب ومن ركب  
أمواج زيغهم، وهم يسعون دائماً من خلال نشر آرائهم اتهم  
المسلمين بالكفر والشرك.

## زيارة القبور

أن أصل زيارة أهل القبور من المؤمنين فهي مستحبة عند علماء الإسلام وأكثر فقهاء مذاهب أهل السنة؛ لأنها من السنن المأثورة، على أن الغرض من زيارة القبور هو أخذ العبرة، واستذكار الآخرة، وعدم التعلق بالدنيا، والدعاء للأموات، وقراءة القرآن بجوار قبورهم.

نذكر أدلة استحباب زيارة القبور، كما يلي:

### أولاً: القرآن الكريم

إن أصل مشروعية زيارة القبور إنما هو استمرار لما كانت عليه الشرائع السابقة، وخير دليل على ذلك - وهو الأسبق تاريخياً - ما ذكره القرآن الكريم في شأن أصحاب الكهف، ونزاع القوم فيهم بعد أن أماتهم الله؛ سبحانه وتعالى إذ يقول تعالى: ﴿إِذِيتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم

## مَسْجِدًا ﴿١﴾ .

فِيَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَرَاقِدَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَصْبَحَتْ مَزَاراً لِلْمُوحِدِينَ، وَذَلِكَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْمَسْجِدِ عَلَيْهَا حَيْثُ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَأْتُونَهُ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ عِنْدَ قُبُورِهِمْ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الْعَمَلُ شُرْكَاً بِاللَّهِ لَاسْتَنْكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَنَهَى عَنْهُ، وَحَيْثُ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَاءَ الْمَسْجِدِ عَلَى الْقُبُورِ وَأَيَّدَ عَمَلَهُمُ الَّذِي أَرَادُوا بِهِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِوَسِيلَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، فَيَكُونُ دَلِيلاً وَحِجَّةً عَلَى اسْتِحْبَابِ أَصْلِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، وَالشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ تَعْبِيرُهُ سُبْحَانَهُ تَعَالَى بِالْمَسْجِدِ بَدَلاً عَنِ ذِكْرِ الْمَعْبُدِ الَّذِي كَانَ مَتَعَارِفاً فِي تِلْكَ الْأَزْمَانِ، فَالتَّعْبِيرُ بِالْمَسْجِدِ دُونَ الْمَعْبُدِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْبِنَاءَ عَلَى ذَلِكَ الْكَهْفِ كَانَ لِأَجْلِ عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْمَسْجِدَ فِي عَرَفِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُوَ الْمَحَلُّ الْمَتَّخَذُ مَوْضِعاً لِلْعِبَادَةِ وَالسُّجُودِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَهُوَ

---

(١) سورة الكهف: ٢١.

المكان الذي يتعبد الناس فيه، وعلى هذا فقد روى المفسرون، أن القول لتأسيس المعبد على أصحاب الكهف كان قول المشركين، والقول باتخاذ المسجد كان قول المؤمنين، وهذا هو الظاهر مما رواه ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين في تفسير الآية الكريمة.

ثم إنَّ سياق قول الموحدين في المقام يفيد المدح، بدليل المقابلة بينه وبين قول المشركين المحفوف بالتشكيك، حيث أنَّ مرادهم ليس مجرد البناء على الكهف، بل المطلوب إنما هو المسجد الذي هو موضع للعبادة. وهذا دليل قرآني على أهمية احترام مراقد الأولياء وتعاهدها بالزيارة، ناهيك عن اتخاذها مسجداً أو إقامة الصلاة والدعاء عندها والتقرب بها إلى الله.

وأيضاً من الكتاب الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ



مَنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١﴾.

هذه الآية نهت عن الصلاة والقيام على قبر المنافق، ومفهومها مطلوبة هذين الأمرين بالنسبة لغيره - أي للمؤمن.

فتدل الآية بمفهوم المخالفة على جواز زيارة قبر من مات على الإسلام، وأن ذلك معهود بين المسلمين، وأنها إنما نزلت لتستثني الكفار والمنافقين، كما يظهر ذلك بوضوح من خلال ملاحظة ذيل الآية الشريفة حيث جاء فيها التعليل وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾. ومعناه أن عدم الجواز معلق بالكفر والشرك، وبمفهوم المخالفة يثبت الجواز<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سورة التوبة: ٨٤.

(٢) إن مفهوم المخالفة من أساليب الإيجاز والاختصار في التعبير يجمع بين



مؤدَّى جملتين مختلفتين في الإثبات والنفي ولذلك سُمِّي مفهوم المخالفة فمثلاً لو قلت: «صل في أرض مباحة»؛ فهنا نستفيد معنى جواز الصلاة في الأرض المباحة.

وإذا قلت: «لا تصل في أرض مغصوبة»؛ فنستفيد عدم الجواز والمنع من الصلاة في الأرض المغصوبة.

فكل جملة في حكمها يختلف عن الحكم الآخر في الإيجاب والسلب والإثبات والنفي وهذا ما يسمى بـ (الإطناب) في أسلوب البلاغة الذي يقابله أسلوب الإيجاز وهو أن تختصر الجملتان في جملة واحدة تعطينا الحكمين المتخالفين بتعبير واحد مثاله: «لا تكرم إلا الطلاب العدول» معناه أن إكرام الطلاب العدول مباح وجائز وإكرام غير العدول محظور وممنوع فالإيجاز مستفاد من استعمال الأدوات (لا) الناهية و(إلا) الاستثنائية.

فعليه يكون مفهوم المخالفة: ما كان الحكم فيه مخالفاً لطبيعة الحكم الموجود في المنطوق من حيث السلب والإيجاب أي إذا كان المنطوق إيجاباً كان المفهوم سلباً وان كان المنطوق سلباً كان المفهوم إيجاباً، وبه يفهم مراد الله ومراد رسوله ﷺ ومراد أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولذا سُمِّي مفهوم المخالفة؛ لأن الحكم الذي يثبت للمسكوت نقيضٌ



وتقريب الاستدلال بالآية الشريفة على أصل مشروعية زيارة القبور يتمّ بيان أنّ منطوق الآية يدلّ على تحريم الصلاة على الكافر والوقوف على قبره، ومفهوم الآية على مشروعية الصلاة على قبر المؤمن، والوقوف عليه.

فإنّ لفظ «أحدٍ» بحكم ورودها في سياق النفي تفيد العموم والاستغراق لجميع الأفراد، ولفظ «أبداً» تفيد الاستغراق الزمني، فيكون معناها: لا تُصلّ على أحدٍ من المنافقين في أيّ وقت كان.

فمع الالتفات إلى هذين اللفظين نعرف - بوضوح - أنّ المراد من النهي عن الصلاة على الميتّ المنافق ليس خصوص الصلاة على الميتّ عند الدفن فقط، لأنّها ليست قابلة للتكرار في أزمنة متعدّدة، ولو أُريد ذلك لم تكن هناك حاجة



للحكم المنطوق به، مختلف عنه.

إلى لفظة «أبداً»؛ بل المراد من الصلاة في الآية مطلق الدعاء والترحم سواء أكان عند الدفن أم بعده.

فإن قال قائل: إن لفظة «أبداً» تأكيد للاستغراق الأفرادي لا الزماني.

فالجواب بوجهين:

الأول: أن لفظة «أحد» أفادت الاستغراق والشمول لجميع المنافقين.

والثاني: أن لفظة «أبداً» تُستعمل في اللغة العربيّة للاستغراق الزماني، كما في قوله تعالى: ﴿...وَلَا أَنْتَكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا...﴾<sup>(١)</sup>.

فالنتيجة: أن المقصود هو النهي عن الترحم على المنافق وعن الاستغفار له، سواء كان بالصلاة عليه أو غيرها، وسواء كان حين الدفن أم بعده.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٣.

الثانية: ﴿لَا تَقْرَءُ عَلَى قَبْرِهِ﴾ فَإِنَّ مفهوم هذه الجملة - مع الانتباه إلى أنها معطوفة على الجملة السابقة - هو: لا تقم على قبر أحدٍ منهم أبداً ؛ لأنَّ كلَّ ما ثبت للمعطوف عليه من القيد - أعني «أبداً» - يثبت للمعطوف أيضاً، ففي هذه الحالة لا يمكن القول بأنَّ المقصود من القيام على القبر هو وقت الدفن فقط ؛ لأنَّ المفروض عدم إمكان تكرار القيام على القبر وقت الدفن، ولفظة «أبداً» المقدَّرة في هذه الجملة الثانية تفيد إمكانيَّة تكرار هذا العمل بعد الدفن، فهذا يدلُّ على أنَّ القيام على القبر لا يختصُّ بوقت الدفن، بل يعمّه وغيره، فهو حرام في حقِّ المنافق وجائر في حقِّ المؤمن.

فيكون معنى الآية الكريمة: أن الله تعالى ينهى نبيه ﷺ عن مطلق الاستغفار والترحم على المنافق، سواء كان بالصلاة أم مطلق الدعاء، وينهى عن مطلق القيام على القبر، سواء كان عند الدفن أم بعده.

ومفهوم ذلك هو: أن هذين الأمرين يجوزان للمؤمن

ويستحبان له.

وهذا ثبت أن جواز زيارة قبر المؤمن، وجواز الصلاة والدعاء على روحه حتى بعد مئات السنين أمر مشروع ومستحب.

ثم إنه من خلال التتبع في كتب التفسير نجد أن كثيراً من المفسرين من أهل السنّة قد فسّروا الآية بالأعم من وقت الدفن وغيره، ومنهم: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء المتوفى سنة (٦٦٠هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ...﴾ أي لا تصل على أحد ولا تقم على قبره قيام زائر، أو مستغفر<sup>(١)</sup>.

---

(١) تفسير القرآن لسلطان العلماء؛ أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (وهو اختصار لتفسير الماوردي ج ٢ ص ٤١؛ تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي؛ ط: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

ومنهم: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى سنة (٦٨٥هـ)، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾. أي ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة<sup>(١)</sup>.

ومنهم: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، أي الدفن والزيارة<sup>(٢)</sup>.

ومنهم: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشريني الشافعي المتوفى سنة (٩٧٧هـ) في تفسيره: وقيل: لا تقم

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي؛ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ج ٣ ص ٩٢؛ تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي؛ ط: الأولى - ١٤١٨ هـ

(٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي؛ تفسيره ص: ٢٥٥؛ ط: الأولى؛ دار الحديث - القاهرة.

عند قبره لدفن أو زيارة<sup>(١)</sup>.

ومنهم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى (سنة ٩٨٢هـ) في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، قال: أي لا تقف عليه للدفن أو للزيارة والدعاء<sup>(٢)</sup>.

ومنهم: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المتوفى (سنة ١٢٧٠هـ) قال في تفسيره: ويفهم من كلام بعضهم أن (على) بمعنى (عند) والمراد: لا تقف عند قبره للدفن أو للزيارة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الشربيني؛ شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب؛ السراج المنير ج ١ ص ٦٣٩؛ ط: ١٢٨٥ هـ؛ بولاق (الأميرية) - القاهرة.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعمادي؛ أبي السعود؛ محمد بن محمد بن مصطفى ج ٤ ص ٨٩؛ ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣) الألوسي؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج ٥: ص ٣٤٢؛ ط: الأولى،



فهؤلاء وغيرهم من المفسرين من أهل السنة والجماعة أخذوا بإطلاق الآية الشريفة، وحكموا بأن المقصود هو النهي عن الترحم على المنافق وعن الاستغفار له، سواء كان بالصلاة عليه أو غيرها، وسواء كان حين الدفن أم بعده.

ونخلص من كل ما سبق إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>. هو أن الله تعالى نهى نبيه ﷺ عن مطلق الاستغفار والترحم على المنافق، سواء كان بالصلاة أو مطلق الدعاء، وينهى عن مطلق القيام على القبر، سواء كان عند الدفن أو بعده ومفهوم ذلك هو أن هذين الأمرين يجوزان للمؤمن وبهذا يثبت جواز زيارة قبر المؤمن وليس

⇒

١٤١٥ هـ

(١) سورة التوبة: ٨٤.

عند الدفن فحسب؛ بل حتى بعد مئات السنين.

وأیضا من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>؛ فَإِنَّ الزَّيْرَةَ هِيَ الْحَضُورُ الَّذِي هُوَ عِبْرَةٌ عَنِ الْمَجِيءِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سِوَاءِ كَانَتْ لَطْفًا لِمَنْ اسْتَغْفَرَ أَوْ بَدُونَهُ، وَالتَّسْلِيمُ لَا يَدْخُلُ فِي مَعْنَاهَا، وَإِذَا ثَبِتَ رَجْحَانُ ذَلِكَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ ثَبِتَ بَعْدَ مَمَاتِهِ؛ لِمَا دَلَّ عَلَى حَيَاتِهِ الْبَرْزَخِيَّةِ وَسَمَاعِهِ تَسْلِيمًا مِنْ يَسْلَمُ عَلَيْهِ، وَعَرَضَ الْأَعْمَالُ عَلَيْهِ.

قال السبكي فيما حكاه عنه السمهودي في (وفاء الوفاء):  
والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتي الموت والحياة،  
واستحبوا لمن أتى القبر أن يتلوها، قال: وحكاية الأعرابي في  
ذلك نقلها جماعة من الأئمة عن العُتبي، واسمه محمد بن  
عبيد الله بن عمرو، أدرك ابن عيينة وروى عنه وهي

---

(١) سورة النساء: ٦٤.

مشهورة، حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب،  
واستحسنوها ورأوها من أدب الزائر.

وذكرها ابن عساكر في تاريخه، وابن الجوزي في «مثير  
الغرام الساكن» وغيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب  
الهلالي، قال: دخلت المدينة فأتيت قبر النبي ﷺ، فزرتة  
وجلست بحذائه، فجاء أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير  
الرسل، إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ  
إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية، إلى آخر ما في فصل التوسل، ثم  
ذكر السمهودي هذه القصة بطريقتين آخرين عن عليّ عليه السلام لا  
نطيل بذكرهما، فليطلبهما من أرادهما<sup>(١)</sup>.

---

(١) وفاء الوفا: ٢ / ٤١١.

## ثانياً: السنّة النبويّة:

لقد تواترت الأحاديث والروايات في استحباب زيارة القبور، وثبت بالطرق الصحيحة أن الرسول الأكرم ﷺ كان يزور البقيع، وشهداء أحد، وعلى هداه سار أهل بيته ﷺ وأصحابه المخلصين، بل يكاد هذا الأمر أن يكون مجمعاً عليه عند جميع المسلمين، ولم يشذ عن ذلك إلا ابن تيمية، ومن سار على نهج الوهابية، فقد روى مسلم بسنده «عن أبي هريرة قال زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «... فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث يدل على جواز زيارة القبور ورجحانه، والبكاء عند القبر، مضافاً إلى وجود التعليل في ذيله وهو

---

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٦٥ ح ١٠٦ / ٩٧٦، ط مؤسسة عز الدين.

تبيين لوجه الجواز شرعاً.

وروى بسنده عن عائشة أمها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون إنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد<sup>(١)</sup>.

وأيضاً عن عائشة أنها قالت: أن النبي ﷺ قال: إن ربك يأمرك أن تأتي البقيع فتستغفر لهم، قالت: قلت: كيف أقول؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين يرحم الله المستقدمين والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون<sup>(٢)</sup>.

هذه الرواية وأمثالها تدل على أن زيارة القبور مشتملة

---

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٦٣ ح ١٢ / ٩٧٤، ط مؤسسة عز الدين.

(٢) صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٦٤ ح ١٠٣.

على النداء والخطاب للميت من القول: السلام على أهل  
الديار...

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «زوروا  
القبور فإنها تذكركم الآخرة»<sup>(١)</sup>.

وقد روى البيهقي عن الحاكم عن علي بن الحسين أن: «فاطمة  
الزهراء سلام الله عليها كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة  
فتصلي عنده وتبكي»<sup>(٢)</sup>.

وروى الحاكم في المستدرک على الصحيحين، وصححه  
الذهبي، وكذلك صححه الألباني، بسنده ((عن عبد الله بن  
أبي مليكة قال: أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت  
لها: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر عبد الرحمن  
بن أبي بكر. فقلت لها: أليس كان رسول الله ﷺ نهى

---

(١) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٠٠، باب ما جاء في زيارة أهل القبور.

(٢) سنن البيهقي ج ٤ ص ٧٨. والمستدرک على الصحيحين ج ١ ص ٣٧٧.

عن زيارة القبور؟ قالت: نعم. ثم أمر بزيارتها)). وفي رواية:  
«أن رسول الله ﷺ رخص في زيارة القبور»<sup>(١)</sup>.

إذن كل هذه الأحاديث وغيرها، والسيرة العملية  
لرسول الله ﷺ تدل دلالة واضحة على أن زيارة القبور  
بصورة عامة عمل مستحب ومشروع، ولا غبار عليه،  
خلافاً لما أفتى به ابن تيمية الذي خالف جميع المسلمين.

### استحباب زيارة قبر النبي ﷺ :

أما استحباب زيارة قبر النبي ﷺ فإنه مجمع عليه بين  
المسلمين قال القاضي عياض: «زيارة قبره ﷺ سنة بين  
المسلمين مجمع عليه وفضيلة مرغّب فيه»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المستدرک علی الصحیحین ج ١: ص ٥٢٦. ورواه البيهقي في  
الترمذي في صحيحه ج ٥: ص ٢٧٥ كتاب الجنائز، باب ما جاء في  
زيارة القبور، وصححه الألباني.

(٢) كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج ٢: ص ١٩٤ الفصل



وإليك بعض النصوص الواردة في هذا المجال:

فقد روي عن أحمد بن حنبل حين ما سئل عن زيارة النبي ﷺ قال: أنه ﷺ قال: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله إليّ روعي حتى أرد عليّ»<sup>(١)</sup>.

ومعناه أنه ﷺ يدعو لمن يسلم عليه في زيارته بالسلامة من كل ضرر في الدنيا والآخرة.

وروى الطبراني بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حج فزار قبري بعد وفاتي كمن زارني في حياتي»<sup>(٢)</sup>.

وروى أيضا بسنده عن رسول الله ﷺ قال: «من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له

⇒

التاسع.

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٨٧.

(٢) معجم الكبير ج ٤ ص ١٣٤٠، ط إحياء التراث العربي بتحقيق حمدي عبد المجيد.



شفيحاً يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «من حجّ فلم يزرني، فقد جفاني»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «من زارني بعد موتي، فكأنما زارني حياً»<sup>(٤)</sup>.

وقد روى السبكي في كتابه «شفاء السقام بزيارة قبر خير الأنام» الروايات الواردة في المقام وذكر من صححها من

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير ج ١٢ ص ٢٩١ ح ١٣١٤٩.

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه ج ٢ ص ٢٧٨.

(٣) سنن البيهقي المجلد الخامس كتاب الحج، باب زيارة قبر

النبي ﷺ.

(٤) كنز العمال، المجلد الخامس، باب زيارة قبر النبي ﷺ حديث

١٢٣٨٢.

أئمة الحديث عند أهل السنّة، ثم ذكر الأحاديث وهي كثيرة  
جداً.

## التوسل بالعظماء والأولياء على ضوء الآيات القرآنية والروايات الإسلامية

تمهيد :

وقبل الدخول في الأدلة لا بأس بالإشارة إلى أن الاستعانة بغير الله لا فرق فيها بين الأحياء والأموات؛ لأنّ الملاك فيهما واحد؛ وإن كان الخصم يدعي التفكيك بينهما؛ ولعل ما دفعهم إلى القول بالتفكيك هو ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أنس أنه قال: كان عمر بن الخطاب إذا قحطوا استسقى بعمّ النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب...<sup>(١)</sup>.

---

(١) لاحظ صحيح البخاري ج ٢: ص ١٦، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الاستسقاء إذا قحطوا.

وهو يدل على أن عمر بن الخطاب قد توسل بعم النبي ﷺ للاستسقاء، فيقولون هذا توسل بالحي ولا مانع منه.

و على كل تقدير فإن التفكيك بين الحي والميت غير صحيح ؛ لأن الطلب من الغير لو كان طلباً حقيقاً فهو طلب من غير الله عز وجل ؛ وبناءً على مسلكهم الطلب من غير الله موجب للشرك، وإذا كان الأمر كذلك لا بد لهم من القول بأن كل طلب من غير الله موجب للشرك سواء كان من الحي أم من الميت ؛ لأن الملاك فيهما واحد، فيكون الطلب من الحي أيضاً شرك بنفس الملاك الموجود في الطلب من الميت، بل يكون الطلب من الحي أخطر من القول في الميت ؛ لأن الانتفاع من الحي الذي له الأثر في الوجود تكويناً موجب للاستعانة به حقيقةً، وأمّا الطلب من الميت يكون باستعانة دعائه وبجاهه عند الله وحينئذ لا يكون الطلب منه تكويناً.

فالإشكال الذي يتوجه إليهم، أنه إذا كان الطلب من الميت شركاً بالله العظيم لكونه استعانة بغير الله، فالاستعانة بالغير في الطلب من الحي بطريق أولى يكون شركاً بالله؛ لأن الحي له الأثر في الوجود تكويناً.

وبعبارة أخرى: أن التوسل والاستغاثة بالحي يكشف عن أن الحي له القدرة في التأثير، حيث ينتفع به تكويناً، ومع ذلك يجوز التوسل به عند الخصم كما ورد في حديث استسقاء عمر بن الخطاب بعم النبي ﷺ، فيرد عليهم القول بالشرك حينئذ؛ لأنه سوف يلزمهم القول بأن الحي القادر على النفع ويجوز الاستغاثة به والميت عاجز عن ذلك لا يجوز التوسل والاستغاثة به مع عدم قدرته الذاتية على التأثير؛ وهذا أخطر من الأول في القول بالشرك.

والحقيقة أننا بحسب العقيدة الصحيحة يجب أن نعلم بأن كل الأشياء والأسباب متساوية في القدرة والعجز؛ لأن الله تعالى هو مسبب الأسباب فإن شاء أعجز القادر وإن شاء

أقدر العاجز وهذه هي عقيدة التوحيد الصحيحة، لا كما يتوهمون، وسيوضح ذلك من خلال المباحث الآتية.

ثم أنّ هنالك فرق بين التوسل والاستغاثة، فالتوسل طلب أمر بوسيلة ما، أي بشفيع ما؛ أما الاستغاثة فهي طلب الغوث والنصرة ممن يقدر على الاستعانة.

وبعبارة أخرى: طلب العبد الإغاثة ممن يقدر عليها حقيقةً، وهو الله تعالى أو ممن أقدرهم الله عليها بحوله وقوته وهم أنبياءه وأولياؤه وعباده الصالحون.

وقد يطلق التوسل على الاستغاثة إذا نظر إلى حقيقة الأشياء وكون كل الأسباب هي بيد مسببها وفاعلها الحقيقي وهو الله تعالى؛ لأنّه لا تأثير في الوجود إلا الله، لأي سبب مهما كان إلا بإذنه تعالى، فيمكن تصوير كل طلب من غير الله من باب أنه توسل لله تعالى بهذا المعنى وهو المعنى الدّقي الصحيح للعقيدة الإسلامية.

وبعد وضوح هذه الأمور فإنّ الآيات والأحاديث

الواردة في المقام كثيرة جداً؛ لأنّ القرآن الكريم تكلم في التوحيد والشرك في أكثر آياته وقصصه وبياناته ولم يدع هذا الأمر المهم بل الأهم مجملاً أو غامضاً فركز على وجوب نسبة كل شيء لله تعالى وكل تأثير وقدرة كذلك، وكونه تعالى مسبب الأسباب والمتفرد بالخلق والأمر والتأثير ومع ذلك يثبت التأثير لمخلوقاته من جهة أخرى، ويكون التأثير في طول تأثير الخالق لا في عرضه.

فلا شك أنّ القرآن لم ينفِ أمر الاستعانة بالأسباب الماديّة، بشرط أن يعتقد الإنسان أنّ هذه الأسباب غير مستقلّة في التأثير، وأن يؤمن في قرارة نفسه بأنّ تأثير هذه الأسباب التي يستعين بها مشروط بإذن الله تعالى.

والأمثلة في هذا الموضوع كثيرة، فقد قصّ علينا القرآن أنّ رجلاً من شيعة موسى عليه السلام استغاث به، فأجابه

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ونصره على عدوّه.

ووصف القرآن الأنصار بأنهم ﴿الَّذِينَ آوَا وَنَصَرُوا﴾<sup>(١)</sup>،  
مع أنّه في آية أخرى حصر النصر في الله تعالى دون سواه<sup>(٢)</sup>.  
وقد أمرنا الله تعالى أن نعدّ لعدونا العدة، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا  
لَهُمْ مِمَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(٣)</sup>، مع أننا نؤمن أنّ القوّة والحول  
كلّه لله تعالى.

وأمرنا تبارك وتعالى ألا نستعين بغيره فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ  
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(٤)</sup>.

لكنّه من جانب آخر يوصينا أن يُعين أحدنا الآخر في  
قوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾<sup>(٥)</sup>.

---

(١) سورة الأنفال: ٧٢.

(٢) سورة الأنفال: ١٠.

(٣) سورة الأنفال: ٦٠.

(٤) سورة الفاتحة: ٥.

(٥) سورة المائدة: ٢.



ويوصينا بالاستعانة بالصبر والصلاة فيقول: ﴿وَاسْتَعِينُوا  
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾<sup>(١)</sup>. مع أننا إنما نستعين به وحده لا شريك  
له.

ويُخبرنا الله تعالى عن العسل أنه فيه شفاءً للناس<sup>(٢)</sup>؛ مع  
أنَّ أحداً منا لا يعتقد بأنَّ العسل هو الشافي؛ بل نعتقد جميعاً  
بأنَّ تعالى قد أودع في هذا السائل شفاءً، وأنَّ العسل إنما  
يشفي بإذن الله تعالى.

### التوسل والاستغاثة في القرآن والروايات:

مضافاً إلى الآيات القرآنية التي تقدّمت الإشارة إليها  
نذكر هنا بعض النماذج من التوسل والاستغاثة في الآيات  
والروايات:

فمنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ

---

(١) سورة البقرة: ٤٥.

(٢) سورة النحل: ٦٩.

الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾. وهذه دعوة عامة من الله تعالى للتقرب إليه بالوسائل، وتقول: من كان يتقي الله يبتغي أن يجعل بينه وبين ربه الوسيلة، الموجبة للتقرب إلى الله تعالى، ألا وإن أقرب الوسيلة والتوسل بأقرب خلق إلى الله هم أوليائه المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام محمد وآل محمد الأطيبين الأطهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما نصت عليها الآيات المباركة كآية المباهلة وآية التطهير وآية المودة غيرها من الآيات والسنة النبوية الشريفة التي سيأتي ذكرها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

فالآية تحث المسلمين على ابتغاء الوسيلة والتوجه بها إلى الله، حيث إن الجار والمجرور في قوله تعالى (إليه) متعلق بالوسيلة، والابتغاء لم يأخذ إلا مفعولاً واحداً وهو الوسيلة،

---

(١) سورة المائدة: ٣٥.

فالمسلمون والمؤمنون مأمورون بابتغاء الوسيلة والفرع إليها  
وتوسطها بينهم وبين الله تعالى، ولا يمكن ابتغاء الله تعالى  
من دون الوساطة والوسيلة، ولذا لم يكن الابتغاء في الآية إلا  
للسيلة؛ لكونها موصلة إلى الله سبحانه وتعالى، فلا توحيد  
ولا عبادة صحيحة لله تبارك وتعالى إلا إذا كانت عن طريق  
الوسائل والوسائط بينه وبين خلقه؛ ولذا كفر الشيطان  
عندما استكبر على وسيلة الله وخليفته آدم عليه السلام.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ  
فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

وهذه الآية المباركة تحت أيضاً على الرجوع إلى النبي صلى الله عليه وآله  
وجعله واسطة في غفران الذنوب بواسطة استغفاره صلى الله عليه وآله،  
والآية كما ترى مطلقة تشمل حال الحياة وبعد الممات، وهذا  
ما فهمه أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وغيرهم، كما في قصة الأعرابي

(١) سورة النساء: ٦٤.

وهي حكاية العتبي المشهورة، حيث قال: «كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، وقد جئتك مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربِّي؛ ثم بكى، وأنشأ يقول:

يا خير مَنْ دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع  
والأكم

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني فرأيت رسول الله ﷺ، فقال: يا عتبي، ألحق الأعرابي، فبشره أن الله قد غفر له»<sup>(١)</sup>.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٣٢. والمجموع، لمحيي الدين النووي ج ٨ ص ٢٧٤.

اللَّهُ تَوَارُؤُ وَسَهْمَةٌ وَأَيْتُهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ . وهذا الاستكبار الذي نصّت عليه الآية المباركة بنفسه حصل من إبليس عندما أمره الله تعالى بالسجود إلى آدم وجعله واسطة في تعليم الأسماء والوقوف على حقائق الخلق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ .

وصريح الآية تُبيّن ما وقع من المنافقين عندما أمرهم الله تعالى بالرجوع إلى النبي الأكرم ﷺ وجعله واسطة في المغفرة والاستغفار، فحصل لهم ما حصل لإبليس من الاستكبار على أوامر الله تعالى، وهذا هو سبيل كل من يسلك صراط الاستنكار على مبدأ الوسائل والوسائط الإلهية.

---

(١) سورة المنافقون: ٥.

(٢) سورة البقرة: ٣٤.

ومنها: قوله تعالى حاكياً عن ولد يعقوب: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا  
اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ  
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

ويستفاد من الآية أن طلب الاستغفار من الآخرين غير  
مناف للتوحيد، بل هو سبيل الوصول إلى لطف الله سبحانه،  
والأفكيف كان يمكن ليعقوب عليه السلام أن يستجيب لطلب  
أبنائه في أن يستغفر لهم وان يجيبهم بالإيجاب على توصلهم  
به.

وهذا الأمر يدل على أن التوسل بأولياء الله جائز كما هو  
واضح ظاهر.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ  
الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة يوسف: ٩٧ - ٩٨.

(٢) سورة الإسراء: ٥٧.

فإن كلمة (الوسيلة) يشمل كل عمل جميل ولائق، وكل ولي من أولياء الله، لأن كل هذه الأمور تكون سببا في التقرب من الله.

وقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة قوله عليه السلام: «إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى، الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت واعتماره، وصلة الرحم، وصدقة السر، وصدقة العلانية، وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان»<sup>(١)</sup>.

فشفاعة الأنبياء والصالحين والمقربين التي تكون مقبولة في حضرة الله تبارك وتعالى هي الوسيلة، كما تصرح بذلك الآيات القرآنية.

ومنها: قوله تعالى حكاية عن نبي الله سليمان: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا

---

(١) نهج البلاغة الخطبة: ١١٠.

الْمَلَأُوا أَيْكُمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ . فهذا  
 سليمان وهو نبي من أنبياء الله تعالى يتوسل في قضاء الأمور  
 المهمة والخارقة للعادة بمن عنده علم من الكتاب، حيث  
 طلب الإتيان بالعرش من ذلك المكان البعيد قبل أن يترد  
 إليه طرفه، وهو من الأمور التي لا تتحقق إلا بالعجاز  
 وقوة إلهية وقد جعل الله تعالى واسطة ذلك من كان عنده  
 علم من الكتاب، وهذا لا يعني أن سليمان في جعله الواسطة  
 للإتيان بالعرش كان عاجزاً عن ذلك، بل لأجل أن يبين  
 للناس أن في أمته وحكومته من هو واسطة في قضاء مهمات  
 الأمور.

---

(١) سورة النمل: ٣٨.



## الروايات الواردة في باب التوسل والاستغاثة :

أخرج الطبراني، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمّه عثمان بن حنيف: إن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائتِ الميضاة فتوضأ، ثم ائتِ المسجد فصلِّ فيه ركعتين، ثم قل: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهَ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فَتَقْضِ لِي حَاجَتِي"، فتذكر حاجتك وروح حتى أروح معك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان

الساعة. وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها.

ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كَلَّمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كَلَّمته، ولكنني شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ: فتصبر؟ فقال: يا رسول الله ليس لي قائد فقد شقّ عليّ.

فقال النبي ﷺ: إئت الميضاة فتوضأ، ثم صلّ ركعتين، ثم أدع بهذه الدعوات.

قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر المعجم للطبراني ج ٩ ص ٣٠-٣١، باب ما أسند إلى عثمان بن حنيف برقم ٨٣١١. وفي المعجم الصغير له ج ١ ص ١٨٣-١٨٤.

هذه الرواية قد صححها الطبراني<sup>(١)</sup>، والمنذري<sup>(٢)</sup>.  
والهيثمي<sup>(٣)</sup> وغيرهم.

وفيه دليل على أن الأعمى توّسل بالنبى ﷺ في غير  
حضرتة، بل ذهب إلى الميضاة فتوضأ وصلّى ودعا باللفظ  
الذي علّمه الصحابي، دعاء تضمّن التوسّل بذات  
النبى ﷺ، فهذا الحديث من أمتن الأدلة وأصرحها على  
جواز التوسّل بذات النبى ﷺ، ومن أبرز الجمل الصريحة  
فيه هي:

أ - (اللهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيك)، فإن التوجّه  
بالنبى ﷺ الوارد في هذا الدعاء معناه التوجه بذات النبى  
المقدسة وشخصيته الكريمة ﷺ، ولا يمكن تقدير كلمة

---

(١) معجم الصغير ج ١ ص ١٨٤.

(٢) الترغيب والترهيب ج ١ ص ٤٧٦.

(٣) مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٧٩.

(دعاء) لتكون الجملة أتوجه إليك بدعاء نبيك؛ خلاف الظاهر وتحكم بلا دليل، بل إن هذا الدعاء الذي علمه النبي ﷺ للرجل الضيرير: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك»، هو نفس مضمون الآية المباركة: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.

ب - (محمد نبي الرحمة) وهذه الجملة تؤكد أن المقصود من السؤال من الله بواسطة النبي ﷺ وشخصيته، حيث جاءت هذه الجملة «محمد نبي الرحمة» بعد كلمة نبيك.

ج - جملة «يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي» وهذه الجملة تدل على أن الرجل حسب تعليم الرسول ﷺ اتخذ نفس النبي ﷺ وسيلة لدعائه أي أنه توسل بذات النبي ﷺ لا بدعائه.

د - «وشفعه في»: أي يا رب، اجعل النبي ﷺ شفيعي وتقبل شفاعته في حقي، وليس معناه تقبل دعاءه في حقي.

ثم قول راوي الحديث عثمان بن حنيف: «فوالله ما تفرقنا

ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا وقد أبصر».

أما ما توَّسل النبي ﷺ بحقه وحق مَنْ سبقه من الأنبياء فقد روى الطبراني بسنده عن أنس بن مالك: (أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد أمَّ علي عليه السلام دخل عليها رسول الله فجلس عند رأسها، فقال: «رحمك الله يا أمِّي، كنت أمِّي بعد أمِّي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريدن بذلك وجه الله والدار الآخرة»).

ثمَّ أمر أن تغسل ثلاثاً ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبهُ رسول الله بيده، ثمَّ خلع رسول الله قميصه فألبسها إياه وكفَّنها ببرد فوقها، ثمَّ دعا رسول الله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وغلاماً أسود يحفرون فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه وقال: «الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأُمِّي فاطمة

بنت أسد ولقنها حجتها، ووسّع عليها مدخلها بحق نبيك  
والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين» وكبر عليها  
أربعاً وأدخلها اللحد<sup>(١)</sup>.

فالرواية صريحة في توسل النبي ﷺ بحقه وحق من  
سبقه من الأنبياء عليه السلام.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد  
الخدري عن رسول الله ﷺ قال: من خرج من بيته إلى  
الصلاة فقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ،  
وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُمْشَايَ هَذَا فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرَأَ وَلَا بَطْرَأَ وَلَا

---

(١) المعجم الأوسط ج ١ ص ٦٧. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ٣  
ص ١٢١؛ والحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٠٨؛ وابن عبد البر في  
الاستيعاب في حاشية الإصابة ج ٤ ص ٣٨٢؛ والذهبي في سير أعلام  
النبلاء ج ٢ ص ١١٨ برقم ٧؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩  
ص ٢٥٦؛ والمتقي الهندي في كنز العمال ج ١٣ ص ٦٣٦ برقم  
٣٧٦٠٨.

رياءً ولا سُمعةً، وخرجتُ اتقاء سخطِكَ وابتغاء مَرْضاتِكَ،  
فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيدَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ  
الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ"؛ أَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ  
أَلْفَ مَلِكٍ <sup>(١)</sup>.

وروى الهيثمي بسنده عن عمر بن الخطاب عن رسول  
الله ﷺ أنه قال: «لَمَّا أَذْنَبَ آدَمُ الذَّنْبَ الَّذِي أَذْنَبَهُ، رَفَعَ  
رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا غَفَرْتَ لِي.  
فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: وَمَنْ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: تَبَارَكَ اسْمُكَ، لَمَّا خُلِقْتَ  
رَفَعْتَ رَأْسِي إِلَى عَرْشِكَ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ  
وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمُ عِنْدَكَ قَدْرًا  
مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ إِنَّهُ آخِرُ النَّبِيِّينَ مِنْ

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٢١؛ ورواه ابن ماجه في سننه ج ١

ذُرِّيَّتِكَ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ لَمَا خَلَقْتُكَ»<sup>(١)</sup>.

هذه الرواية أيضا صريحة في توسل النبي آدم عليه السلام بحق رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

وروى الدارمي في سننه، والسمهودي في وفاء الوفاء عن أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي صلى الله عليه وآله فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال ففعلوا فمطرنا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل<sup>(٢)</sup>.

---

(١) مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٥٣؛ ورواه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٦١٥؛ والآلوسی في تفسیره روح المعانی ج ١ ص ١٧؛ والسیوطی في تفسیره الدر المنثور ج ١ ص ٥٩.

(٢) سنن الدرامی ج ١ ص ٤٣-٤٤؛ وفاء الوفا ج ٢ ص ٥٤٩. وراجع أيضا کتاب دلائل النبوة للیهقی ج ٧ باب ما جاء في رؤية النبي صلى الله عليه وآله في المنام ص ٤٧؛ حيث روى رواية مشابهة لهذه الرواية وهي صريحة أيضا في التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله عند قبره.



وروى أحمد زيني دحلان في كتابه الدرر السنية، أنه سأل المنصور العباسي إمام المالكية مالك بن أنس عن كيفية زيارة النبي ﷺ والتوسل به فقال: «يا أبا عبد الله أَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَأَدْعُوا، أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ مَالِكُ فِي جَوَابِهِ: لَمْ تَصْرِفْ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! بَلِ اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ فَيَشْفِعْكَ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...﴾»<sup>(١)</sup>.

هذه الرواية أيضا صريحة بأن إمام المالكية يعلم المنصور التوسل بالنبي ﷺ.

ثم أنه قد وردت روايات تدل على أن الأموات يسمعون من يتكلم معهم فقد روى المؤرخون أنه بعد انتهاء معركة بدر بهزيمة المشركين وقتل صناديدهم، وقف رسول ﷺ يخاطبهم واحداً تلو الآخر، ويقول: "يا أهل القلب، يا

(١) انظر: الدرر السنية لأحمد زيني دحلان: ج ١٠ ص ٩.

عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، يا أمية بن خلف، يا أبا جهل، وهكذا عدّ من كان منهم بالقلب، وقال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً؟

فقال له أصحابه: يا رسول الله أتنادي قوماً موتى؟ فقال ﷺ: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البخاري بسنده عن نافع أن ابن عمر أخبره، قال: اطلع النبي ﷺ على أهل القلب، فقال: «وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقيل له: ندعو أمواتاً، فقال: «ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك إن المسلمين على اختلاف مذاهبهم يسلمون على

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٤٩. والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٧٩-١٨٠.

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٠١.

رسول الله ﷺ في تشهد الصلاة فيقولون: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته".

فإن كانت صلتنا منقطعة بالنبي ﷺ فما معنى سلامنا عليه خمس مرات يومياً؟

روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ كان يزور القبور، ويخرج آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون، غداً مأجلون وإننا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»<sup>(١)</sup>.

وأما ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾<sup>(٢)</sup> وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾<sup>(٣)</sup>، فإن

---

(١) صحيح مسلم ج ٣ ص ٦٣، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور.

(٢) سورة روم: ٥٢.

(٣) سورة فاطر: ٢٢.

المقصود بالإسماع: إسماع الموتى من الكفار الذين لا يجدون نفعاً من قول النبي ﷺ بعدما ماتوا كافرين؛ هذا إذا قلنا أنّ معنى إسماع حقيقي.

وأما إذا قلنا أنّ المقصود بالموتى كناية عن الكفار وعدم قبولهم لقول الحق فالمعنى لا يرتبط بالمقام.

ولا يخفى أنّ الموت ليس انعداماً للإنسان خلافاً لما يعتقد الماديون، فإنّ الأدلة الإسلامية تدلّ على أنّ الروح تنفصل عن جسد الإنسان فترة من الزمان، في عالم البرزخ قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(١)</sup>. فهناك نوع من الحياة غير هذه الحياة المادية والقرآن يدلّنا على أنّ الأرواح يسمعون كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً﴾<sup>(٢)</sup>. فإنّ ظاهر الآية

---

(١) سورة المؤمنون: ١٠٠.

(٢) سورة الزخرف: ٤٥.

خطاب إلى النبي ﷺ ﴿وَاسْأَلْ...﴾: أي اسأل من أرواح الأنبياء... فإذا كان أرواح الأنبياء لا يجيبون السؤال لكان ذلك لغواً؛ ومن خلال هذه الآية المباركة يتبين أن ارتباط النبي ﷺ بأرواح الأنبياء أمر ممكن.

ثم إن القرآن الكريم يُسلم على الأنبياء الذين توفوا وذلك في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِنْ يَاسِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. وأيضا إن السلام على النبي ﷺ في الصلاة أمر مجمع عليه عند المسلمين.

ثم إليك أخي المسلم أقوال العلماء من المذاهب الأربعة الدالة على جواز التوسل بالنبي ﷺ وأنه ليس شركاً:

---

(١) سورة الصافات: ١٠٩.

(٢) سورة الصافات: ١٢٠.

(٣) سورة الصافات: ١٣٠.

## المذهب الحنفي:

قال الشيخ نظام في كتابه (الفتاوى الهندية في المذهب الحنفي) بعد أن ذكر كيفية آداب زيارة قبر الرسول ﷺ، ذكر الأدعية التي يقوها الزائر فقال: «ثم يقف (أي الزائر) عند رأسه ﷺ كالأول ويقول: اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ...﴾ الآية، وقد جئناك سامعين قولك طائعين أمرك، مستشفعين بنبيك إليك...»<sup>(١)</sup>.

## المذهب المالكي:

قال الشيخ ابن الحاج المالكي المعروف بإنكاره للبدع في كتابه (المدخل) ما نصه: فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حطّ أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا، لأن

---

(١) انظر: الفتاوى الهندية ج ١ ص ٢٦٦، كتاب المناسك، باب: خاتمة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعِظَمها عند ربه لا يتعاضمها ذنب، إذ أنها أعظم من الجميع، فليستبشر من زاره ويلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام، ومَن لم يزره اللهم لا تحرمننا شفاعته بحرمة عندك آمين يا رب العالمين، ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم»<sup>(١)</sup>.

### المذهب الشافعي:

قال النووي في (المجموع): «ثم يرجع إلى موقفه الأول قُبالة وجه رسول الله ﷺ ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه»<sup>(٢)</sup>.

### المذهب الحنبلي:

أجاز صاحب المذهب أحمد بن حنبل التوسل كما نقل عنه

---

(١) المدخل ج ١ ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) المجموع ج ٨ ص ٢٧٤، كتاب صفة الحج، باب زيارة قبر الرسول ﷺ.

المرداوي الحنبلي في (الإنصاف): «ومنها (أي من الفوائد) يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب، وقيل: يُستحب، قال الإمام أحمد للمروزي: يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره»<sup>(١)</sup>.

هذه أربعة أقوال من المذاهب الأربعة فيها جواز التوسل بالنبي ﷺ تُبيّن أن المذاهب الأربعة في مسألة التوسل يدّ واحدة؛ فيلزم على جميع أهل السنّة أن يعتقدوا بالجواز لأنهم يقتدون بأحد هؤلاء العلماء من المذاهب الأربعة.

### ديدن علماء المسلمين التوسل بالنبي ﷺ :

ولزيادة الفائدة وتبيين أن التوسل بالنبي ﷺ ديدن كثير من أعلام علماء المسلمين نذكر بعض العلماء الذين توسلوا بالنبي ﷺ في مؤلفاتهم:

---

(١) الإنصاف ج ٢ ص ٤٥٦، كتاب صلاة الاستسقاء.



١- خاتمة اللغويين الحافظ مرتضى الزبيدي الحنفي، قال في خاتمة (تاج العروس). داعياً: «ولا يكلنا إلى أنفسنا فيما نعمله وننويه (بمحمد وآله الكرام البررة)»<sup>(١)</sup>.

٢- ابن حجر الهيتمي الشافعي، قال في خاتمة كتابه (تحفة الزوار إلى قبر المختار) داعياً: «ختم الله لنا ولمن رأى في هذا الكتاب بالسعادة والخير ورفعنا وإياهم في الجنة إلى المقام الأسنى (بجاه سيد الأولين والآخرين)»<sup>(٢)</sup>.

٣- الفيومي، قال في خاتمة كتابه (المصباح المنير) داعياً: «ونسأل الله حسن العاقبة في الدنيا والآخرة وأن ينفع به طالبه والناظر فيه وأن يعاملنا بما هو أهله (بمحمد وآله الأطهار) وأصحابه الأبرار»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) تاج العروس ج ٢٠ ص ٤٤٧.

(٢) تحفة الزوار: ١٥.

(٣) خاتمة المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.

٤- العلامة الفقيه عبد الغني الغنيمي الحنفي صاحب (اللباب في شرح الكتاب) قال في خاتمة كتابه (شرح العقيدة الطحاوية) داعياً: «وصلِّ وسلم على سيدنا محمد فإنه (أقرب من يُتوسَّل به إليك)»<sup>(١)</sup>.

٥- شمس الدين الرملي الملقب بالشافعي الصغير، قال في مقدمة كتابه (غاية البيان في شرح زُبد ابن رسلان) داعياً: «والله أسأل (وبنييه أتوسل) أن يجعله (أي عمله في هذا الكتاب) خالصاً لوجهه الكريم»<sup>(٢)</sup>.

٦- خاتمة المحققين الشيخ ابن عابدين الحنفي، قال في مقدمة (حاشيته على رد المحتار) داعياً: «وإني أسأله تعالى (متوسلاً إليه بنبيه المكرم ﷺ)»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ١٤٤.

(٢) غاية البيان لشمس الدين محمد بن أحمد الرملي ص ٢.

(٣) حاشية رد المحتار لابن عابدين ج ١ ص ٤.

٧- محمد علاء الدين ابن الشيخ ابن عابدين، قال في خاتمة (تكملة حاشية) والده داعياً: «كان الله له ولوالديه، وغفر له ولأولاده ولمشايقه ولمن له حق عليه (بجاه سيد الأنبياء والمرسلين)»<sup>(١)</sup>.

٨- محمد الزرقاني المالكي، قال في خاتمة شرحه للموطأ داعياً: «وأسألك من فضلك (متوسلاً إليك بأشرف رسلك) أن تجعله (أي شرحه للموطأ) خالصاً لوجهك»<sup>(٢)</sup>.

٩- المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي الشافعي، قال في كتابه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس) داعياً: «وَضَعَ اللهُ عِنَّا سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا بِإِفْضَالِهِ الْجَارِي، وَخَتَمَهَا بِالصَّالِحَاتِ (بجاه محمد ﷺ) سيد السادات»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) تكملة حاشية رد المحتار لابن عابدين ج ٢ ص ٦٥٩.

(٢) شرح الزرقاني للزرقاني المصري الأزهري ج ٤ ص ٦٩٥.

(٣) كشف الخفاء ج ٢ ص ٤١٩.

١١- الحافظ السخاوي، قال في خاتمة (شرح ألفية العراقي) في الحديث: «سيدنا محمد سيد الأنام كلهم (ووسيلتنا) وسندنا وذخرنا في الشدائد والنوازل صلى الله عليه وسلم».

ثم أنه لا شك في أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون كما نصت الآية الشريفة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزقون﴾<sup>(١)</sup>؛ فالقرآن صريح في أن الشهداء أحياء ولا شك أن أئمة أهل البيت عليهم السلام بالإضافة إلى الرسول صلى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام قد قضوا شهداء (وهذا البحث ثابت في محله بالأدلة والبراهين)؛ ومعناه أنهم الأحياء عند ربهم يرزقون بنص هذه الآية الشريفة ومن لوازم الحياة السمع والبصر والإدراك، وهذا المعنى قد نصت عليه نفس الآية الكريمة والآية التي بعدها بذكرها

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٩.

أفعال الإدراك: ﴿يُرْزَقُونَ﴾، ﴿فَرِحِينَ﴾، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛  
بل قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ  
خَلْفِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. وهذا دحض من الله تعالى لكل دعاوى ضد  
الشيعة والتي هي بعيدة كل البعد عن توسل المؤمنين بأهل  
البيت عليهم السلام.

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٠.

**تعظيم قبور الصالحين والتبرك بها والمكث عندها :**

إنّ ظاهرة التبرك بآثار الأنبياء والصالحين معروفة حتّى عند الأمم التي سبقت الإسلام، والتي تتضمن التبرك بثياب أولئك الأنبياء وبقاياهم، فمن أمثلة التبرك عند الأمم السابقة.

تبرك النبي يعقوب عليه السلام بقميص ابنه النبي يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقد امثل إخوة يوسف لأمره، فجاؤوا بقميصه وألقوه على وجه أبيه الذي كان قد فقد بصره حزناً على فراق ولده يوسف، فجعل الله تعالى قميص يوسف سبباً لارتداد بصر أبيه يعقوب عليه السلام، فكان ذلك من قدرة الله تعالى وبركة ذلك

---

(١) سورة يوسف: ٩٣.

القميص، ومعلوم أنّ الله تعالى يقدر أن يرد بصر يعقوب عليه السلام دون حاجة إلى إلقاء ذلك القميص على وجهه، ولكن الله تعالى حكمة في جعل بعض الأشياء المباركة سبباً لتحقيق الغاية، ولا شك أن ذلك مرده إلى أن يجعل ذلك سنة يقتدي بها الأنام فيعرفوا أن هنالك أشياء وأمكنة وأزمنة وأشخاصاً لها مقامات عند الله تعالى، فجعل فيها بركة تتيح لها شفاء المرضى أو استجابة الدعاء أو الشفاعة لغفران الذنوب، ونحو ذلك.

قال الزمخشري: قيل، هو القميص المتوارث الذي كان في تعويد يوسف، وكان من الجنة، أمر جبرئيل عليه السلام أن يرسل إليه فإن فيه ريح الجنة، لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي<sup>(١)</sup>.

ومن أمثله أيضاً: تبرك بني إسرائيل بالتابوت الذي فيه

---

(١) الكشف ج ٢ ص ٥٠٣.

آثار آل موسى وآل هارون، وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله حكايةً عن نبي بني إسرائيل الذي بشرهم بطالوت ملكاً: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾<sup>(١)</sup>. وكان هو التابوت الذي أنزله الله على موسى فوضعت فيه أمه وألقته في اليم، وكان في بني إسرائيل معظماً يتبركون به، فلما حضرت موسى عليه السلام الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيّه، فلم ينزل التابوت بينهم حتى استخفوا به وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلم ينزل بنو إسرائيل في عزٍّ وترفٍ مادام التابوت عندهم، فلما عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت رفعه الله عنهم، فلما سألوا نبيهم، بعث الله طالوت عليهم ملكاً يقاتل معهم فردّ الله عليهم التابوت.

(١) سورة البقرة: ٢٤٨.



قال الزمخشري: التابوت صندوق التوراة، وكان موسى إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفترون... وقوله: ﴿وَبَقِيَّةُ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾. هي رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة<sup>(١)</sup>.

فوجد بني إسرائيل بأمر من نبيهم يحتفظون بما ترك موسى وهارون، وتسكن إليه نفوسهم لما أخبرهم به من البركة التي اختصها الله به لكونها من آثار أنبيائهم، حتى إذا استخفوا بهذه الآثار المباركة عاقبهم الله وحرّمهم من بركتها، مما يدل على قدسية هذه الآثار وحلول البركة فيها بإذن الله.

---

(١) الكشاف ج ١ ص ٢٩٣.

## سيرة المسلمين في التبرّك

أولاً:

سيرة الصحابة في التبرّك بالنبي ﷺ في حياته، قال محمد طاهر المكي: فلا جرم إن كان التبرّك بها - آثار الرسول - سنة الصحابة، واقتفى آثارهم في ذلك من نهجهم التابعين وصلاح من المؤمنين، وقد وقع التبرّك ببعض آثاره ﷺ في عهده وأقرّه ولم ينكر عليه، فدلّ ذلك دلالة قاطعة على مشروعيته، ولو لم يكن مشروعاً لنهاه عنه ﷺ وحذر منه، وكما تدلّ الأخبار الصحيحة وإجماع الصحابة على مشروعيته، تدل على قوة إيمان الصحابة وشدة محبتهم وموالاتهم ومتابعتهم للرسول الأعظم ﷺ، على حد قول الشاعر:

أمرُّ على الديار ديار سلمى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن

الديارا<sup>(١)</sup>.

فكان الصحابة يتبركون بالنبي ﷺ، بمس جسده الشريف وتقبيل يده، وشرب فضل إنائه، وبماء وضوئه، ونخامته، وشعره وغير ذلك في حياته، ويأتون بأولادهم حال ولادتهم لكي ما يحنكهم النبي ﷺ ويتبرك عليهم ويدعو لهم، ومن ذلك ما أخرج مسلم في صحيحه من أن رسول الله ﷺ كان يؤتى إليه بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر: كل مولود في حياة النبي ﷺ يحكم بأنه رآه، وذلك لتوفر دواعي إحضار الأنصار أو لادهم عند النبي ﷺ للحنك والتبرك، حتى قيل: لما افتتحت مكة

---

(١) تبرك الصحابة بآثار الرسول ص ٧٠.

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ١٦٤، كتاب الطهارة، باب حكم بول الطفل الرضيع؛ وج ٦ ص ١٧٦، كتاب الآداب، باب استحباب تحنك المولود.

جعل أهل مكة يأتون إلى النبي ﷺ بصبيانهم ليمسح على رؤوسهم ويدعو لهم بالبركة<sup>(١)</sup>.

### الروايات الواردة في باب التبرك بالأحياء:

روى البخاري في صحيحه بسنده عن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن ابن أخي وجع (أي أصابه ألم، قال ابن السائب)؛ فمسح ﷺ رأسي ودعالي بالبركة وتوضأ وشربت من وضوئه<sup>(٢)</sup>.

وروى أيضا في صحيحه بسنده عن أبي جحيفة قال: خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وقام الناس فجعلوا يأخذون

---

(١) الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٦٣٨، في ترجمة وليد بن عقبة.

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ٥٦، كتاب الوضوء، باب قبل باب من مضمض واستنشق بغرفة واحدة.

يديه فيمسحون بها وجوههم<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري أيضا في صحيحه بسنده عن عون بن أبي جحيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ في قبة من آدم ورأيت بلالاً أخذ وضوء رسول الله ورأيت الناس يتدرون ذاك الوضوء فمن أصاب منه شيئا تمسح به ومن لم يصب منه شيئا أخذ من بلال يد صاحبه...<sup>(٢)</sup>.

وهناك روايات كثيرة في باب التبرك بالنبى ﷺ وآثاره في حياته وحيث أن هذا النوع من التبرك لا يعد شركاً عند الخصم فنكتفي بذكر الأحاديث المتقدمة.

وقد وردت بذلك أخبار كثيرة نقتطف منها بعضها:

١- عن أم قيس أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٦٥، كتاب بدء الخلق، باب صفة النبي ﷺ.

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ٩٩، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب

الأحمر.

رسول الله ﷺ فأجلسه في حجره فبال على ثوبه، فدعا بقاء  
ففضحه ولم يغسله<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: وفي هذا الحديث من الفوائد، الندب إلى  
حسن المعاشرة، والتواضع، والرفق بالصغار، وتحنيك  
المولود والتبرك بأهل الفضل، وحمل الأطفال حال الولادة  
وبعدها<sup>(٢)</sup>.

٢- عن عائشة: كان رسول الله ﷺ يُؤتى بالصبيان  
فيحنكهم ويبرك عليهم<sup>(٣)</sup>.

٣- عن عبد الرحمن بن عوف قال: ما كان يولد لأحد

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٦٢، كتاب الغسل، باب بول الصبيان. ورواه  
النسائي في سننه ج ١ ص ٩٣، باب بول الصبي الذي لم يأكل الطعام،  
والترمذي في سننه ج ١ ص ١٠٤، وأبو داود في سننه ج ١ ص ٩٣، باب  
بول الصبي يصيب الثوب، وابن ماجه في سننه ج ١ ص ١٧٤، وغيرهم.

(٢) فتح الباري ج ١ ص ٣٢٦.

(٣) مسند أحمد ج ٧ ص ٣٠٣، ح ٢٥٢٤٣. ورواه ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٥.

مولود إلا أتي به النبي فدعاه له<sup>(١)</sup>.

٤- عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة، عن ظئر محمد بن طلحة قال: لما ولد محمد بن طلحة أتيت به النبي ﷺ ليحنكه ويدعوله، وكذلك كان يفعل بالصبيان<sup>(٢)</sup>.

لقد كانت سيرة الصحابة الكرام هي التبرك بالنبي ﷺ وآثاره على الدوام في حياته وبعد مماته، والأخبار في ذلك تضيق عن الحصر، إلا أننا سنذكر بعض الأمثلة القليلة عن تبرك الصحابة به وبآثاره ﷺ، للدلالة على مشروعية التبرك.

---

(١) المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٤٧٩. ورواه ابن حجر في الإصابة

ج ١ ص ٥.

(٢) الإصابة ج ١ ص ٥.

## تبرّكهم بجسده الشريف ﷺ :

روي أنه ﷺ جاء إلى السوق فوجد زهيراً قائماً يبيع متاعاً، فجاء من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره، فأحس زهير بأنه رسول الله ﷺ، قال: فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء حصول البركة<sup>(١)</sup>.

## تبرّكهم بشعره ﷺ :

١- عن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يخلقه وقد أطاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: سيرة دحلان ج ٢ ص ٢٦٧. البداية والنهاية ج ٦ ص ٤٧، وصححه وقال: إن رجاله ثقات. مسند أحمد ج ٣ ص ٩٣٨، حديث ١٢٢٣٧، تبرّكهم بشعره ﷺ.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ٨٣ ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٥٩١، والبيهقي في سننه الكبرى ج ٧ ص ٦٨، والحلي في

←



٢- عن عبد الله بن زيد قال: ... فحلق رسول الله ﷺ رأسه في ثوبه وأعطاه فقسم منه على رجال، وقلم أظفاره فأعطاه صاحبه، قال: فإنه لعندنا مخضوب بالحناء والكتم، يعني: شعره<sup>(١)</sup>.

٣- لما نحر رسول الله ﷺ الهدى دعا الحلاق وحضر المسلمون يطلبون من شعر رسول الله ﷺ فأعطى الحلاق شق رأسه الأيمن ثم أعطاه أبا طلحة الأنصاري، وكلمه خالد بن الوليد في ناصيته حين حلق فدفعتها إليه فكان يجعلها في مقدمة قلنسوته، فلا يلقي جمعاً إلا فضّه<sup>(٢)</sup>.



سيرته ج ٣ ص ٣٠٣. وابن كثير في البداية والنهاية ج ٥ ص ١٨٩٠، وغيرهم.

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٢٥، باب في شعر النبي ﷺ. مسند

أحمد ج ٤ ص ٦٣٠، ح ١٦٠٣٩. مجمع الزوائد ج ٤ ص ١٩٠.

(٢) مغازي الواقدي ج ٣ ص ١١٠٨٠.

٤- عن أبي بكر أنه كان يقول: ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربّه... لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائماً عند المنحر يقرب إلى رسول الله ﷺ بدنة ورسول الله ﷺ ينحرها بيده، ودعا الحلاق فحلق رأسه، وأنظر إلى سهيل يلتقط من شعره وأراه يضعه على عينيه، وأذكر إباءه، أن يقرّ يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم أن يقرّ يوم الحديبية بأن يكتب<sup>(١)</sup>.

**تبرّكهم بعرقه ﷺ :**

عن أنس بن مالك، قال: إنّ أمّ سليم كانت تبسط للنبي ﷺ نطعاً فيقبل عندها على ذلك النطع. قال: فإذا نام النبي ﷺ أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ثم

(١) كثر العمال ج ١٠ ص ٤٧٢ ح ٣٠١٣٦٠.

جمعته في سكّ (١).

قال ابن حجر في شرحه للحديث:

وفي ذكر الشعر غرابة في هذه القصة، وقد حمله بعضهم على ما ينتشر من شعره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الرجل، ثم رأيت في رواية محمد بن سعد ما يزيل اللبس، فإنه أخرج بسند صحيح عن ثابت عن أنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حلق شعره بمنى أخذ أبو طلحة شعرة فأتى بها أم سليم فجعلته في سكّها. قالت أم سليم: وكان يجيء فيقيل عندي على نطعي فجعلت أسلت العرق (٢).

**تبرّكهم بماء وضوئه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :**

١- عن أبي جحيفة، قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في قبة

---

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٤٠، كتاب الاستئذان، باب من زار قوما فقال

عندهم.

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٥٩.

حمراء من آدم ورأيت بلائاً أخذ وضوء النبي ﷺ والناس يتبادرون الوضوء فمن أصاب شيئاً تمسح به ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه.

وفي لفظ: خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة فأُتي بوضوء، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه ويتمسحون به<sup>(١)</sup>.

٢- عن ابن شهاب، قال: أخبرني محمود بن الربيع، قال: وهو الذي مجّ رسول الله ﷺ في وجهه وهو غلام من بئرهم. وقال عروة عن المسور وغيره - يصدّق كل واحد منها صاحبه -: وإذا توضأ النبي ﷺ كادوا يقتتلون على

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٥٥، كتاب الوضوء باب استعمال فضل وضوء الناس. مسند أحمد ج ٥ ص ٣٩٨، حديث ١٨٢٦٩. السنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٣٩٥، باب الالتواء في حيّ على الصلاة. دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ١٨٣. صحيح مسلم ج ١ ص ٣٦٠. سنن النسائي ج ١ ص ٨٧٠

وضوئه<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر في شرحه: وفعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبة أو ليبارك عليه بها كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة<sup>(٢)</sup>.

كما أخرج المحدثون والحفاظ قصة مجيء عروة بن مسعود الثقفي إلى قريش قبل صلح الحديبية، حيث أدهشه عمل الصحابة مع النبي ﷺ، فقال - وهو يحكي ما شاهده من ذلك -: لا يتوضأ وضوءاً إلا ابتدروه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه - وفي رواية - فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٥٥، كتاب الوضوء باب استعمال فضل وضوء الناس، مسند أحمد ج ٦ ص ٥٩٤ حديث ٢٣١٠٩. سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٤٦.

(٢) فتح الباري ج ١ ص ١٥٧، باب متى يصح سماع الصغير.

كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه<sup>(١)</sup>.

٣- عن سعد قال: سمعت عدة من أصحاب النبي ﷺ فيهم أبو أسيد وأبو حميد وأبو سهل ابن سعد يقولون: أتى رسول الله ﷺ بئر بضاعة فتوضأ في الدلو وردّه في البئر ومج في الدلو مرة أخرى وبصق فيها وشرب من مائها، وكان إذا مرض المريض في عهده يقول: «اغسلوه من ماء بئر بضاعة» فيغسل، فكأنها حل من عقال<sup>(٢)</sup>.

٤- عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنهما) يقول: جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل،

---

(١) انظر: مسند أحمد ج ٥ ص ٤٢٣، حديث طويل ١٨٤٣١. السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٢١٩، باب المهادنة على النظر للمسلمين. السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨. سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٢٨. المغازي للواقدي ج ٢ ص ٥٩٨. تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٠.

(٢) الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٨٤. سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٢٥.

فتوضأ وصبّ عليّ من فضل وضوئه فعقلت<sup>(١)</sup>.

٥- وعنه أيضاً قال: إنّ النبي ﷺ توضأ في طست فأخذته فصبيته في بئر لنا<sup>(٢)</sup>.

٦- وعن أبي موسى قال: دعا النبي ﷺ بقدر فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه ومجّ فيه ثم قال لهما: «اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر: والغرض بذلك - يعني المجر - إيجاد البركة فيه<sup>(٤)</sup>.

٧- عن أم هانئ: أنّ النبي ﷺ دخل عليها يوم الفتح

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٥٦، كتاب الوضوء، باب صب النبي ﷺ وضوئه على المغمى عليه.

(٢) كنز العمال ج ٢ ص ٤٢٢ ح ٣٥٤٧٣٠.

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ٥٥، كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس.

(٤) فتح الباري ج ١ ص ٢٣٦.

فأنته بشراب فشرّب منه، ثم فضلت منه فضلة فناولها  
فشرّبته ثم قالت: يا رسول الله! لقد فعلت شيئاً ما أدري  
يوافقك أم لا، فقال: «وما ذاك يا أم هانئ؟» قالت: كنت  
صائمة فكرهت أن أرد فضلك فشرّبته.

وفي رواية: لقد شرّبت وأنا صائمة. قال: «فما حملك على  
ذلك؟!»

قالت: من أجل سورك لم أكن لأدعه لشيء، لم أكن أقدر  
عليه، فلما قدرت عليه شرّبته<sup>(١)</sup>.

هذه أخبار أخرجها الأئمة والحفاظ للتدليل على سيرة  
الصحابة الكرام في التبرّك بالنبي ﷺ في حياته، وقد  
استمرت هذه السيرة عندهم بعد وفاته ﷺ حيث كان  
الصحابة يتبرّكون بأثاره فيشربون في الآبار التي شرب منها

---

(١) انظر: مسند أحمد ج ٧ ص ٥٧٥، ح ٢٦٨٣٨. الطبقات الكبرى لابن سعد  
ج ٨ ص ١٠٩٠.



أو مج فيها، ويتبركون ببقايا شعره ومنبره وخاتمه وعصاه  
وقدحه وبقبره الشريف وملابسه ونعاله وكل ما خلفه  
النبي ﷺ من بعده، وقد تابعهم التابعون على ذلك  
واستمرت سيرة المسلمين في التبرك بأثار النبي ﷺ إلى  
يومنا هذا، والأخبار في ذلك كثيرة جداً، نكتفي بذكر  
بعضها.

## ثانياً:

تبرك الصحابة والتابعين بأثار النبي ﷺ بعد وفاته:  
أفرد البخاري باباً في: «ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه  
وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك  
مما لم يذكر قسمته، ومن شعره ونعله وآنيته مما تبرك أصحابه  
وغيرهم بعد وفاته»<sup>(١)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٦، باب ما ذكر من ورع النبي ﷺ وعصاه  
وسبقه...

١- عن عبد الله بن موهب: قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء - وقبض إسرائيل ثلاث أصابع - من قُصَّة فيه شعر من شعر النبي ﷺ، وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء، بعث إليها مخضبه، فاطلعت في الحجل فرأيت شعرات حمراً<sup>(١)</sup>.

٢- لما حضر معاوية الموت أوصى بأن يدفن في قميص رسول الله وإزاره وردائه وشيء من شعره<sup>(٢)</sup>.

٣- حينما حضرت عمر بن العزيز الوفاة، دعا بشعر من شعر النبي ﷺ وأظفار من أظفاره وقال: إذا مت فخذوا الشعر والأظفار ثم اجعلوه في كفني<sup>(٣)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٥٧، كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب.

(٢) انظر: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٩. الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٤٠٠.

تاريخ دمشق ج ٥٩ ص ٢٢٩.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٤٠٦، ترجمة عمر بن عبد العزيز.

٤- جعل في حنوط أنس بن مالك صرة مسك وشعر من شعر رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

٥- أعطى بعض ولد فضل بن الربيع أبا عبد الله (يعني أحمد بن حنبل) وهو في الحبس ثلاث شعرات فقال: هذا من شعر النبي ﷺ، فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يجعل على كل عين شعرة، وشعرة على لسانه<sup>(٢)</sup>.

٦- عن ابن سيرين قال: قلت لعييدة: عندنا من شعر النبي ﷺ، أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس. قال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليّ من الدنيا وما فيها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٢٥، ترجمة أنس بن مالك.

(٢) صفة الصفوة لابي الفرج ابن الجوزي ج ٢ ص ٣٥٧٠.

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ٥١، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل شعر الإنسان.

٧- ذكر الواقدي أن عائشة سئلت: من أين هذا الشعر الذي عندكن؟ قالت: إن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه في حجته فرّق شعره في الناس فأصابنا ما أصاب الناس<sup>(١)</sup>.

### التبرّك بالشرب من قدحه ﷺ :

١- عن سهل بن سعد في حديث، قال: فأقبل النبي ﷺ يوماً حتى جلس في سقيفة بني ساعدة، هو وأصحابه ثم قال: «أسقنا يا سهل»، فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه (قال الراوي): فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه، قال: ثم استوهبه عمر بن العزيز بعد ذلك فوهب له<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المغازي ج ٣ ص ١١٠٩٠.

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ٣٥٢، كتاب الأشربة، باب الشرب من قدح النبي صلى الله عليه وآله وآلته وآنيته. وصحيح مسلم ج ٦ ص ١٠٣، كتاب الأشربة، باب إباحة النبيذ لم يشتر ولم يصير مسكراً.

٢- عن أنس: إن قذح النبي ﷺ انكسر، فأتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة. قال عاصم: رأيت القذح وشربت فيه<sup>(١)</sup>.

٣- قال أبو بردة: قال لي عبد الله بن سلام: ألا أسقيك في قذح شرب النبي ﷺ فيه<sup>(٢)</sup>.

٤- عن صفية بنت بحرة، قالت: استوهب عمي فراس من النبي ﷺ قصعة رآه يأكل فيها فأعطاه إياها.

قال وكان عمر إذا جاءنا، قال: أخرجوا لي قصعة رسول الله ﷺ، فنخرجها إليه فيملأها من ماء زمزم فيشرب منها وينضح على وجهه<sup>(٣)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٧، كتاب بدأ الخلق، باب ما ذكر في درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقده وخاتمه.

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ٣٥٢، كتاب الأشربة، باب الشرب من قذح النبي ﷺ وآيته.

(٣) الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٢٠٢، ترجمة فراس، رقم ٦٩٧١. أسد الغابة

## تبركهم بمواضع يده وفمه ﷺ :

١- في قصة نزول النبي ﷺ في بيت أبي أيوب الأنصاري عندما قدم مهاجراً إلى المدينة، قال أبو أيوب: وكنا نضع له العشاء ثم نبعث، فإذا ردّ علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشاءه وقد جعلنا له بصلاً وثوماً، فردّه رسول الله ﷺ ولم أر ليده فيه أثراً، فجئته فزعاً، فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمّي ردّدت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك؟ فقال: «إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي فأما أنتم فكلوه...»<sup>(١)</sup>.

⇒

لابن الأثير ج ٤ ص ٣٥٢، ترجمة فراس عم صفية، رقم ٤٢٠٢. كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٢ ص ٦١٧.

(١) البداية والنهاية لابن الكثير ج ٣ ص ٢٠١. سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٤. دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٥١٠.

٢- عن أنس: أن النبي ﷺ دخل على أم سليم بيتها وفي البيت قربة معلقة فيها ماء، فتناولها فشرب من فيها وهو قائم، فأخذتها أم سليم فقطعت فمها فأمسكته عندها<sup>(١)</sup>.

٣- عن أم عامر - واسمها فكيهة أو أسماء - بنت يزيد بن السكن قالت: رأيت رسول الله ﷺ صلى في مسجدنا المغرب فجئت منزلي فجئته بلحم وأرغفة، فقلت: تعش. فقال لأصحابه: «كلوا». فأكل هو وأصحابه الذين جاءوا... قالت: وشرب عندي في شجب فأخذته فدهنته وطويته، وكنا نسقي فيه المرضى ونشرب منه في الحين رجاء البركة<sup>(٢)</sup>.

٤- عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن جدته كلثم قالت:

---

(١) مسند أحمد ج ٧ ص ٥٢٠ ح ٢٦٥٧٤. الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٣١٣.

(٢) الإصابة لابن حجر ج ٤ ص ٤٧١، ترجمة أم عامر، رقم ١٣٧٤. الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٢٣٤.

دخل علينا رسول الله ﷺ وعندنا قربة معلقة فشرب  
منها، فقطعت فم القربة ورفعتها، نبتغي البركة موضع في  
رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

### تبرّكهم بعصاه وملابسه وخاتمه ﷺ :

١- عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك: أنّه كانت  
عنده عصية لرسول الله ﷺ فمات فدفنت معه بين جنبه  
وقميصه<sup>(٢)</sup>.

٢- عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ اتّخذ خاتماً من ذهب  
أو فضة وجعل فصّه مما يلي كفه ونقش فيه: «محمد رسول  
الله» فاتخذ الناس مثله، فلما رأهم قد اتخذوها رمى به، وقال:  
«لا ألبسه أبداً» ثم اتّخذ خاتماً من فضة فاتّخذ الناس خواتيم

---

(١) سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١١٣٢.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٦٠.



الفضة. قال ابن عمر: فلبس الخاتم بعد النبي ﷺ أبو بكر  
ثم عمر ثم عثمان حتى وقع من عثمان في بئر أريس<sup>(١)</sup>.  
٣- عن سهل بن سعد، قال: جاءت امرأة ببردة...،  
قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها،  
فأخذها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنها  
لإزاره، فجلسها رجل من القوم، فقال: يا رسول الله  
اكسينيها؟ قال: «نعم»، فجلس ما شاء الله في المجلس، ثم  
رجع فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت،  
سألتها إياه وقد عرفت أنه لا يرد سائلاً، فقال الرجل: والله  
ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت، قال سهل فكانت  
كفنه<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٥٥، كتاب اللباس، باب خاتم الفضة.

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٨٩، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة  
والشملة.

قال ابن حجر: وفي رواية أبي غسان، فقال: «رجوت  
بركتها حين لبسها النبي ﷺ...»

وقال في شرحه: ما يستفاد من الحديث وفيه التبرك بأثار  
الصالحين.

وقال: أفاد المحب الطبري في (الأحكام) له: إنه عبد  
الرحمن بن عوف، وعزاه للطبراني. ولم أره في (المعجم  
الكبير)، لا في مسند سهل ولا عبد الرحمن، ونقله شيخنا ابن  
الملقن عن المحب في (شرح العمدة)، وكذا قال لنا شيخنا  
الحافظ أبو الحسن الهيثمي أنه وقف عليه لكن لم يستحضر  
مكانه، ووقع لشيخنا ابن الملقن في (شرح التنبيه) أنه سهل  
بن سعد وهو غلط، ثم نقل عن الطبراني أنه سعد بن أبي  
وقاص، وعنه أيضاً في رواية أنه أعرابي<sup>(١)</sup>.

٤- أراد معاوية بن أبي سفيان أن يشتري من كعب بن

---

(١) فتح الباري ج ٣ ص ١٤٤.

زهير بردة رسول الله ﷺ، التي ألقاها عليه بعد إسلامه بعشرة آلاف درهم، فأبى كعب وقال: ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله أحداً. فلما مات بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألف درهم، فأخذها منهم. هي البردة التي كانت عند السلاطين، وهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد<sup>(١)</sup>.

٥- عن أم عطية الأنصارية، قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته، فقال: «اغسلنّها ثلاثة أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتنّ ذلك بهاء وسدر، واجعلنّ في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور فإذا فرغتنّ فأذنيني»، فلما فرغنا آذناه فأعطانا حقوة، فقال: «أشعرنها إياها» تعني

---

(١) انظر: كتاب تبرّك الصحابة للشيخ محمد طاهر المكي ص ١٧. تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٢. السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩.

إزاره<sup>(١)</sup> .

٦- عن محمد بن جابر، قال: سمعت أبي يذكر عن جدي أنه أوّل وفد وفد على رسول الله ﷺ من بني حنيفة، فوجدته يغسل رأسه، فقال: ((أقعد يا أبا أهل اليمامة فاغسل رأسك)) فغسلت رأسي بفضلة غسل رسول الله ﷺ . . . فقلت: يا رسول الله أعطني قطعة من قميصك استأنس بها، فأعطاني. قال محمد بن جابر: فحدثني أبي أنها كانت عندنا نغسلها للمريض يستشفى بها<sup>(٢)</sup> .

٧- عن عيسى بن طهمان، قال: أخرج إلينا أنس بن علقم لهما قبالاتان، فسمعت ثابت البناني يقول: هذه نعل

---

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٤، كتاب الجنائز، باب يجعل الكافر في آخره، صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٤٧.

(٢) الإصابة لابن حجر ج ٢ ص ١٠٢، ترجمة سياويس طلق اليماني، رقم

النبي ﷺ (١).

## التبرك بمنبره ﷺ :

لقد أوضح النبي ﷺ لأُمَّته أن لمنبره قدسية خاصة لا ينبغي التجاوز عليها، لذا فقد سنَّ ﷺ تحريم اليمين على منبره كذباً، فقال: «من حلف على منبري كاذباً ولو على سواك أراك فليتبوأ مقعده من النار» (٢).

وعن جابر: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرئ من المسلمين حلف عند منبري على يمين كاذبة يستحق بها حق مسلم، أدخله الله النار وإن كان على سواك أخضر» (٣).

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٥٠، كتاب اللباس، باب قبلان في النعل ومن رأى قبلاً واسعاً.

(٢) انظر: مسند أحمد ج ٤ ص ٣٥٧ ح ١٤٦٠٦. فتح الباري ج ٥ ص ٢١٠.

الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٠.

(٣) كنز العمال ج ١٦ ص ٦٩٧ ح ٤٦٣٨٩.

وقد أدرك الصحابة ذلك، فنجد زيد بن ثابت يأبى أن يحلف على المنبر عندما قضى عليه مروان بذلك، وقال: احلف له مكاني، فجعل زيد يحلف وأبى أن يحلف على المنبر، فجعل مروان يعجب منه <sup>(١)</sup>.

لذا نجد الصحابة الكرام يعرفون لهذا المنبر قدسيته وبركته، فنجدهم يقصدونه ويمسحون أيديهم برمانته وبمقعد رسول الله ﷺ منه، ويضعونها على وجوههم تبركاً بها.

فعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد القاري: أنه نظر إلى ابن عمر وضع يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه <sup>(٢)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٠ كتاب الشهادات، باب يحلف مدعى عليه حينما وجبت عليه اليمين.

(٢) انظر: الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٢٥٤، ذكر منبر الرسول ﷺ.

وعن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: رأيت ناساً من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن الرجل يمس منبر النبي ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله جل وعز؟ فقال: «لا بأس بذلك»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر في باب تقبيل حجر الأسود ما هذا نص عبارته: استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الأركان جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره، فأما تقبيل آدمي فيأتي في كتاب الأدب، وأما غيره فنقل عن الإمام أحمد

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٥٤، ذكر منبر الرسول ﷺ.

(٢) العلل ومعرفة الرجال ج ٢ ص ٤٩٢.

أنه سئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ وتقبيل قبره فلم يربه بأساً...<sup>(١)</sup>.

### تبركهم بقبره الشريف ﷺ :

لقد كان دأب المسلمين منذ وفاة النبي ﷺ على مرّ العصور والى يومنا هذا، هو التبرك بقبر النبي ﷺ والاستسقاء به والاستشفاء بتربته، على ذلك تصافق المسلمون بكافة طوائفهم جيلاً بعد جيل، ولم يشذ عن ذلك إلا دعاة السلفية، وفي طليعتهم ابن تيمية الحراني الذي ادّعى بأن السلف الصالح لم يعرفوا ذلك ولم يقرّوه!

إلا أن عمل المسلمين - وفيهم كبار الصحابة والتابعين وعدد لا يستهان به من علمائهم الأفاضل ومحدثيهم - ينفي تلك الادعاءات ويبطلها، فمن الشواهد على دأب المسلمين - وفي

---

(١) فتح الباري ج ٣ ص ٣٨٠.



مقدمتهم الصحابة - على التبرك بقبر النبي ﷺ:

١- عن داود بن صالح، قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فقال: أتدري ما تصنع! فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب! فقال: نعم، جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله»<sup>(١)</sup>.

٢- عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفننا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله

---

(١) انظر: المعجم الأوسط ج ١ ص ٩٤. الجامع الصغير للسيوطي ص ٧٢٨.  
كنز العمال ج ٦ ص ٨٨ ح ١٤٩٦٧. مجمع الزوائد للهيثمى ج ٤ ص ٢٢،  
وفاء الوفا للسهمودي ج ٢ ص ٤١٠، شفاء الأقسام للسبكي ص ١٥٢.

سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿وَأَوَّاهُمْ بِإِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ...﴾ الآية. وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر «قد غفر الله لك» وحثا من ترابه على رأسه<sup>(١)</sup>.

٣- أخرج الحافظ ابن عساكر في التحفة من طريق طاهر بن يحيى الحسيني قال: حدثني أبي عن جدي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي عليه السلام قال: لما رُمس رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت فاطمة عليها السلام فوقفت على قبره صلى الله عليه وآله وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعتها على عينيها، وبكت وأنشأت تقول:

---

(١) الروض الفائق للحريفيش ص ٣٨٠. المواهب اللدنية للقسطلاني ج ٤ ص ٥٨٣. مشارق الأنوار ج ١ ص ١٢١. وفاء الوفا ج ٤ ص ١٣٩٩. كنز العمال ج ٢ ص ٣٨٦ ح ٤٣٢٢؛ وج ٤: ص ٢٥٩ ح ١٠٤٢٢.

ماذا على من شمَّ تربة أحمد

أن لا يشم مدى الزمان غواليها

صُبَّت عليَّ مصائب لو أنها

صُبَّت على الأيام عُدن لياليا<sup>(١)</sup>

٤- ذكر الخطيب ابن جماعة أن عبد الله بن عمر كان يضع

يده اليمنى على القبر الشريف، وأن بلائاً وضع خديه عليه

أيضاً. ورأيت في كتاب السؤالات لعبد الله بن أحمد حنبل -

وذكر ما تقدّم عن ابن جماعة - ثم قال: ولا شك أن

الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك، والمقصود من

---

(١) وفاء الوفا في فضائل المصطفى لابن الجوزي ص ٨١٩ ح ١٥٣٨. السيرة

النبوية لابن سيد الناس ج ٢ ص ٤٣٢. المواهب اللدنية للقسطلاني ج ٤

ص ٥٦٣. شرح الشمائل للقاري ج ٢ ص ٢١٠. الإتحاف للشبراوي

ص ٣٣٠. وفاء الوفا للسهمودي ج ٤ ص ١٤٠٥. سير أعلام النبلاء للذهبي

ج ٢ ص ١٣٤ وغيرهم.

ذلك كله الاحترام والتعظيم، والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه، وأناس فيهم أناة يتأخرون، والكل محل خير<sup>(١)</sup>.

٥- عن أبي الدرداء قال: إن بلالاً مؤذن النبي ﷺ رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول: «ما هذه الجفوة يا بلال! أما أن لك أن تزورني يا بلال»؟! فانتبه حزينا خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين عليهما فجعل يضمهما ويقبلهما<sup>(٢)</sup>.

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ج ٤ ص ١٤٠٥.

(٢) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٧ ص ١٣٧. مختصر تاريخ دمشق ج ٤ ص ١١٨؛ وج ٥ ص ٢٦٥. تهذيب الكمال للمزي ج ٤ ص ٢٨٩. أسد الغابة لابن الأثير ج ١ ص ٢٤٤. وفاء الوفا للسمهودي ج ٤ ص ١٣٥٦. شفاء

٦- قال السمهودي: كانوا يأخذون من تراب القبر، فأمرت عائشة فضرب عليهم، وكانت في الجدار كوة فكانوا يأخذون منها، فأمرت بالكوة فسدت<sup>(١)</sup>.

٧- ذكر السمهودي أن الناس كانوا يتبركون بالصلاة إلى القبر (يعني قبر النبي ﷺ)، قال: عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي قال كان الناس يصلون إلى القبر، فأمر به عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصل إليه أحد<sup>(٢)</sup>.

٨- كان ابن المنكدر - وهو أحد أعلام التابعين - يجلس مع أصحابه، قال: وكان يصيبه الصمات، فكان يقوم كما هو ويضع خده على قبر النبي ﷺ ثم يرجع، فعُوتب في ذلك

⇒

السقام للسبكي ص ٥٣، مشارق الأنوار للصغاني ج ١ ص ١٢١.

(١) وفاء الوفا ج ١ ص ٥٤٤.

(٢) وفاء الوفا ج ٢ ص ٥٤٧.

فقال: إنه ليصيبني خطرة، فإذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبي ﷺ، وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرغ فيه ويضطجع، فقليل له في ذلك، فقال: إنِّي رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع. يعني في النوم<sup>(١)</sup>.

قال ابن قدامة الحنبلي في المغني: ويستحب الدفن في المقبرة التي يكثر فيها الصالحون والشهداء لتناله بركتهم، وكذلك في البقاع الشريفة.

هذه هي السنة التي دأب عليها الصحابة والتابعون في التبرك بقبر النبي ﷺ والاستشفاء بتربته، ولم يخالفهم فيها إلا ولاية بني أمية الظلمة من أمثال مروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ الذي لعنه الله وهو في صلب أبيه، كما أخبرت بذلك عائشة وعبد الله بن الزبير<sup>(٢)</sup>.

---

(١) وفاء الوفا ج ٢ ص ٤٤٤.

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي ج ٥ ص ٢٤١. الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣

فأين عمل المشركين من عمل المسلمين الموحدين الذين يعتقدون أن الخير كلّهُ من عند الله سبحانه وتعالى. وأن بركاته تنزل بإذنه هو، مع إخباره في كتابه العزيز عن وجود مخلوقات له جعل فيها خصوصية وجعلها مباركة، ولأنه سبحانه يجب هذه المخلوقات المباركة، فقد أكرمها بأن جعلها سبباً لاستجابة دعاء المخلوقين بتوسلهم بها لكرامتها عند الله؟!!

ولعل خير ما يمثل عقيدة أهل السنة في التبرّك هو قول الخليفة العباسي المأمون للقاضي يحيى ابن أكثم: وإن الرجل ليأتينني بالقطعة من العود أو بالخشبة أو بالشيء الذي لعل قيمته لا تكون إلاّ درهماً أو نحوه، فيقول: إن هذا كان

⇒

ص ٤٢٥، في ترجمة مروان بن الحكم. أسد الغابة لابن الأثير ج ٥  
ص ١٤٤، في ترجمة مروان بن الحكم رقم ٤٨٤١. السنن الكبرى  
للنسائي ج ٦ ص ٤٨٥.

للنبي ﷺ، أو قد وضع النبي ﷺ يده عليه، أو بأسافله، أو مسّه، وما هو عندي بثقة ولا دليل على صدق الرجل، إلاّ أني بفرط النية والمحبة أقبل ذلك فأشتريه بألف دينار وأقل وأكثر، ثم أضعه على وجهي وعيني وأتبرك بالنظر إليه وبمسّه، فأستشفي به عند المرض يصيني أو يصيب من أهتم به، فأصونه كصيانتي لنفسي، وإنّما هو عود لم يفعل هو شيئاً ولا فضيلة له تستوجب به المحبة إلاّ ما ذكر من مسّ رسول الله ﷺ له<sup>(١)</sup>.

فالمأمون كان يعلم أن هذا العود لا ينفع ولا يضرّ بذاته، ولكنه يقدره إكراماً للنبي ﷺ، وكذلك هي عقيدة المسلمين، فأين من ذلك عقيدة المشركين!

---

(١) انظر: تاريخ بغداد لابن طيفور ج ١ ص ٤٥.



## تَبَرُّكُ الصَّحَابَةِ بِأَمَاكِنِ صَلَّى فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ :

روى البخاري بسنده عن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصلّي فيها. ويحدّث أنّ أباه كان يصلي فيها، وأنّه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة<sup>(١)</sup>.

ومنها ما رواه البخاري أيضا بسنده عن نافع عن ابن عمر أنّه كان يصلي في تلك الأمكنة، وسألت سالماً فلا أعلمه إلّا وافق نافعاً في الأمكنة كلّها إلّا أنّهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر في شرحه للحديث: عُرف من صنع ابن عمر استحباب تتبع آثار النبي ﷺ والتبرّك بها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٠، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة.

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٠، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة.

(٣) فتح الباري ج ١ ص ٤٦٩.

وقال ابن عبد البر: كان (ابن عمر)؛ كثير الإتيان لآثار رسول الله ﷺ... وكان يتقدم في المواقف بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان النبي ﷺ وقف بها<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأثير: إنَّ عبد الله بن عمر كان كثير الإتيان لآثار رسول الله ﷺ حتى أنَّه ينزل منازلَه ويصلي في كل مكان صلى فيه، وحتى أنَّ النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لئلا تيبس<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن نافع: أنَّ عبد الله بن عمر كان ينيخ بالبطحاء التي بذي الحليفة التي كان رسول الله ﷺ ينيخ بها ويصلي بها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الاستيعاب ج ٢ ص ٣٤٢، بهامش الإصابة، ترجمة عبد الله بن عمر.

(٢) أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٠، ترجمة عبد الله بن عمر، رقم ٣٠٨٠.

(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٠٢، كتاب الحج، باب لا يحج المشرك ولا يطوف بالبيت. ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٢٦٩.

وقال الواقدي: وعن أفلح بن حميد، عن أبيه قال: كان ابن عمر يخبر أن النبي ﷺ جلس تحت السمرة، وأن ابن عمر كان يصب الأدوية تحتها في أصل السمرة يريد بقاءها<sup>(١)</sup>.

فلو كان عمل ابن عمر غير جائز، لأنكر عليه الصحابة ذلك ونهوه عنه.

وروى البخاري في صحيحه: أن عتبان بن مالك - وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرًا من الأنصار - أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار، سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، وددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي، فأأخذ مصلي. قال: فقال له رسول الله ﷺ: «سأفعل إن شاء الله».

---

(١) كتاب مغازي للواقدي ج ٢ ص ١٠٩٦، باب حجة الوداع.

قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حين دخل البيت، ثم قال: «أين تحب أن أصلي من بيتك»؟ قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبر، فقمنا فصففنا، فصلّى ركعتين ثم سلّم (١).

لا شك أن رغبة الصحابي عتبان في تأدية الصلاة جماعة في بيته هو أحد الأسباب لدعوة النبي ﷺ في بيته، ولكن المستفاد من الحديث أنه ليس كلّها ذلك، فإن رغبته في التبرّك بموضع صلاة الرسول ﷺ واضحة. وقد فهم النبي ﷺ رغبة عتبان هذه، لذا ابتدره بالسؤال عن المكان الذي يحبّ أن يصليّ له فيه من بيته، ولو كان الأمر غير ذلك، لصلّى النبي ﷺ في أي مكان من البيت يصلح لذلك.

---

(١) انظر: صحيح البخاري ج ١ ص ١٠٩، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، وج ١ ص ٢٠٤، كتاب الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة.

ومن جهة ثانية، إن رغبة الصحابي عتبان في إصابة عين القبله لا ينهض بحجة، إذ لو كان عتبان لا يبصر جيداً فقد كان في مقدور أهله أو غيره من الصحابة أن يدلّوه عليها، ولما احتاج الأمر لأن يصلي النبي ﷺ ركعتين في ذلك الموضع.

وأيضاً مما يؤيد ذلك قول ابن حجر في شرحه للحديث واليك نصّ عبارته: وإنما استأذن النبي ﷺ لأنه دُعي للصلاة ليتبرك صاحب البيت بمكان صلاته، فسأله ليصلي في البقعة التي يجب تخصيصها بذلك<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: في حديث عتبان وسؤاله النبي ﷺ أن يصلي في بيته ليتخذَه مصلياً وأجابه النبي ﷺ إلى ذلك، فهو حجة في التبرك بأثار الصالحين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) فتح الباري ج ١ ص ٤٣٣.

(٢) فتح الباري ج ١ ص ٤٦٩٠.

وإذا كان طلب عتبان من النبي ﷺ الصلاة في بيته  
لأسباب أخرى، فبماذا نفسّر طلب أمّ سليم وغيرها من  
الصحابة من النبي ﷺ الصلاة في بيوتهم، فيما أخرج  
المحدثون، وكما يأتي:

١- عن أنس بن مالك: أنّ أمّ سليم سألت رسول  
الله ﷺ أن يأتيها فيصلي في بيتها فتتخذة مصلياً، فأتاها،  
فعمدت إلى حصير فنضحته بماء فصلّى عليه وصلّوا معه<sup>(١)</sup>.

٢- وعنه أيضاً قال: صنع بعض عمومتي طعاماً فقال  
للنبي ﷺ: إنّي أحب أن تأكل في بيتي وتصلّي. قال: فأتاه  
وفي البيت فحل من هذه الفحول، فأمر بناحية منه فكنس  
ورش، فصلّى وصلينا معه<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سنن النسائي ج ١ ص ٢٦٨، كتاب المساجد، باب الصلاة ٤٣ الصلاة على  
الحصير، ح ٨١٦

(٢) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٤٩، كتاب المساجد، باب المساجد في الدور،

٣- وعنه أيضاً، قال: كان رجل ضخم لا يستطيع أن يصلي مع رسول الله ﷺ فقال للنبي ﷺ: إني لا أستطيع أن أصلي معك، فلو أتيت منزلي فاقتدي بك. فصنع الرجل طعاماً ثم دعا النبي ﷺ، فنضح طرف حصير لهم فصلّى النبي ﷺ ركعتين<sup>(١)</sup>.

فهل كان مقصوداً أم سليم أن تؤم المسلمين في بيتها مثل عتبان عندما طلبت من النبي ﷺ أن يصلي في بيتها، أم أنها طلبته للتبرك بالصلاة في الموضع الذي يصلي فيه رسول الله ﷺ؟

⇒

ح ٧٥٦، والفحل هو الحصير الذي قد اسود. وفي مسند أحمد بن حنبل

ج ٣ ص ١٣٠ بسندين. مسند أنس بن مالك، ح ١١٩٢٠.

(١) مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٥٨٦، ح ١١٩٢٠.

## التبرّك بالصحابة والصالحين:

تبيّن ممّا سبق أن لا خلاف بين طوائف المسلمين في جواز التبرّك بالنبي ﷺ في حياته، وبآثاره بعد موته. وأن ما احتجّ به الشاذّون في ذلك مردود، يكذّبه فعل الصحابة أنفسهم. إلا أنّ الخلاف وقع في جواز التبرّك بغير النبي ﷺ من الصحابة والتابعين والصالحين.

فقد جوّز بعض علماء المسلمين ذلك، بينما منعه آخرون، وأدلة المانعين تقوم على أساس أن الصحابة لم يتبرّكوا ببعضهم، ولا يتبرّك التابعون بهم، فدلّ تركهم ذلك على عدم جوازه.

إلا أنّ الادّعاء بعدم تبرّك الصحابة ببعضهم، وكذلك بآل الرسول ﷺ غير صحيح، فهناك شواهد صحيحة على حدوث ذلك، وقد استند بعض كبار علماء المسلمين إلى ذلك في تجويز التبرّك ليس بالصحابة والتابعين فحسب، بل بكل أهل الخير والصلاح.



ومن المجوزين القائلين بذلك، النووي الذي استند إلى بعض الروايات الصحيحة في استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس واستسقاء بعض الصحابة ببعض صالحين منهم، قال: ويستسقى بالخيار من أقرباء رسول الله ﷺ، لأن عمر استسقى بالعباس وقال: اللهم إنا كنا إذا قحطنا توصلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل بعم نبينا فاسقنا فيسقون.

ويستسقى بأهل الصلاح لما روي أن معاوية استسقى بيزيد ابن الأسود فقال: اللهم إنا نستسقي بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستسقي بيزيد بن الأسود. يا يزيد ارفع يديك إلى الله تعالى، فرفع يديه ورفع الناس أيديهم، فثارت سحابة من المغرب كأنها ترس، وهب لها ريح، فسقوا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم<sup>(١)</sup>.

---

(١) المجموع شرح المذهب للنووي ج ٥ ص ٦٨، كتاب الصلاة، باب صلاة الاستسقاء.

وقال ابن حجر: أخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه بسند صحيح، ورواه أبو القاسم الكلالكائي في السنّة في كرامات الأولياء.

ثم استدّل ابن حجر العسقلاني بحادثة استسقاء عمر بالعباس على جواز التبرّك والاستشفاع ببعض الأخيار فقال: ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة<sup>(١)</sup>.

**ومن أمثلة تبرّك الصحابة ببعضهم وتبرّك التابعين بهم:**

١- روى عبد الله بن مسعود أن عمر بن الخطاب خرج يستسقي بالعباس فقال: اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آباءه وكبر رجاله، فإنّك قلت وقولك الحق: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ...﴾ الآية، فحفظتها

---

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣٩٩.

لصلاح أبيهما، فأحفظ الله نبيك بعمه فقد دلونا به إليك  
مستشفعين ومستغفرين... الحديث (١).

وفي لفظ: وروينا من وجوه عن عمر أنه خرج يستسقي  
وخرج معه العباس فقال: اللهم إنا نتقرب إليك بعم  
نبيك ﷺ ونستشفع به فأحفظ فيه لنبيك كما حفظت  
الغلامين لصلاح أبيهما وأتيناك مستغفرين ومستشفعين.

ثم أقبل على الناس فقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ  
عَفَّارًا﴾ - إلى أن قال - : فنشأت طريرة من سحاب فقال  
الناس: ترون ترون! ثم تلاءمت واستتمت ومشت فيها  
ريح ثم هزت ودرت، فو الله ما برحوا حتى اعقلوا الجدر  
وقلصوا المآزر وطفق الناس بالعباس يتمسحون أركانه

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٢٧٤، شرح الخطبة ١١٤،  
باب أخبار وأحاديث في الاستسقاء. وكتاب اقتضاء الصراط المستقيم  
لابن تيمية ص ٣٣٨.

ويقولون: هنيئاً لك ساقى الحرمين.

وفي لفظ ابن الأثير: ولما سقى الناس طفقوا يتمسحون بالعباس ويقولون: هنيئاً لك ساقى الحرمين، وكان الصحابة يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه<sup>(١)</sup>.

٢- الحسن البصري، حنكه عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي ﷺ فربما غابت فتعطيه أم سلمة ثديها تعلقه بها إلى أن تجيء أمه، فيدر عليه ثديها فيشربه، فكانوا يقولون فصاحت بركة ذلك<sup>(٢)</sup>.

٣- قال السمهودي - عند ذكره لأسطوانة المحرس - :  
كان علي بن أبي طالب يجلس في صفحتها التي تلقي القبر مما يلي باب رسول الله ﷺ وهو مقابل الخوخة التي كان النبي ﷺ يخرج منها إذا كان في بيت عائشة إلى الروضة

---

(١) أسد الغابة ج ٣ ص ١٦٧، ترجمة عباس بن عبد المطلب، رقم ٢٧٩٧.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٣ ص ٤٧.

للصلاة، وهي الأُسْطوان الذي يصليّ عندها أمير المدينة، يجعلها خلف ظهره، ولذا قال الأقسهري: إنَّ أُسْطوان مصليّ علي عليه السلام اليوم أشهر من أن تخفى على أهل الحرم، ويقصد الأمراء الجلوس والصلاة عندها إلى اليوم، وذكر أنّه يقال لها: مجلس القادة، لشرف من كان يجلس فيه <sup>(١)</sup>.

ونقل عن مسلم بن أبي مريم وغيره، أنّه كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في المربعة التي في القبر. قال سليمان: قال لي مسلم: لا تنس حظك من الصلاة إليها فإنّها باب فاطمة (رضي الله عنها) الذي كان علي يدخل عليها منه <sup>(٢)</sup>.

وفي حديثه عن أُسْطوانة التهجد قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج حصيراً كل ليلة إذا انكفت الناس فيطرح

---

(١) وفاء الوفا للسهمودي ج ٢ ص ٤٤٨.

(٢) وفاء الوفا للسهمودي ج ٢ ص ٤٥٠.

وراء بيت علي ثم يصلي صلاة الليل...

وحدثني سعيد بن عبد الله بن فضيل قال: مرّ بي محمد بن الحنفية وأنا أصلي إليها فقال لي: أراك تلزم هذه الأستوانة، هل جاءك فيه أثر؟ قلت: لا، قال: فألزمها فإنّها كانت مصلي رسول الله ﷺ من الليل...

قال ابن النجار: فعلى هذا جميع سواري مسجد النبي ﷺ يستحب الصلاة عندها لأنه لا يخلو أن كبار الصحابة صلّوا إليها<sup>(١)</sup>.

٤- لما خطب عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - على ما روي عن بعضهم - قال: إني أحب أن يكون عندي عضو من أعضاء رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ج ٢ ص ٤٥٢.

(٢) ذخائر العقبى لمحّب الدين الطبري ص ١٦٩، الفصل الثامن في ذكر أم كلثوم بنت فاطمة وعلي عليهما السلام.

٥- لما خرج الحسين بن علي من المدينة يريد مكة، مرّ بابن مطيع وهو يحفر بئرَه، فقال له: أين فداك أبي وأمّي؟! قال: «أردت مكة» - وذكر أنه كتب إليه شيعته بالكوفة -، فقال له ابن مطيع: فداك أبي وأمّي، متّعنا بنفسك ولا تسرّ إليهم. فأبى الحسين. فقال له ابن مطيع: إن بئري هذه قد رشحتها، وهذا اليوم أو ان ما خرج إلينا في الدلو شيء من ماء، فلو دعوت الله لنا بالبركة. قال: «هات من مائها»، فأتى من مائها فشرب منه ثم مضمض ثم رده في البئر فأعذب وأمهي<sup>(١)</sup>.

٦- لما بلغ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام «نيسابور»، واجتمع الناس حول دابته، أخرج رأسه من المحمل وشاهده الناس، فهم بين صارخ وباك وممزق ثوبه ومتمرغ

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ١٠٧.

في التراب ومقبّل لحافر بغلته أو مقبّل حزام بغلته<sup>(١)</sup>.

بل إنّ النبي ﷺ قد تبرّك بوضوء المسلمين، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة، فعن ابن عمر، قال: قلت يا رسول الله، أتوضأ من جرّ جديد مخمّر أحبّ إليك، أم من المطاهر؟ قال: «لا، بل من المطاهر، إن دين الله يسر الحنيفة السمحة». قال: وكان رسول الله ﷺ يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه، يرجو بركة أيدي المسلمين<sup>(٢)</sup>.

ثم أنّه بعد أن أثبتنا تبرّك الصحابة والتابعين ببعضهم وبالصالحين من الأمة، فإنّ عدم أمر النبي ﷺ بالتبرّك

---

(١) انظر: الصواعق المحرقة ص ٣١٠، الفصل الثالث في الأحاديث الواردة

في بغض أهل البيت... عليه السلام. نور الأبصار للشبلنجي ص ١٦٨، فصل في

مناقب الإمام علي بن موسى الرضا.

(٢) انظر: مجمع الزوائد للهيثمى ج ١ ص ٢١٤، وقال: رواه الطبراني في

الأوسط ورجاله موثّقون. كنز العمال ج ٧ ص ١١٢ ح ١٨٢٣١.



بغيره، يقابله أيضاً عدم نهيهِ عن ذلك، فلو كان الأمر فيه المحذور أو الخطورة على عقائد المسلمين لما أغفل النبي ﷺ عنه، ولكان نهى عنه بكل شدة. وذلك بيّن في قول النبي ﷺ عن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ قال: «إنّه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم...»<sup>(١)</sup>.

فهل يناقض النبي ﷺ - حاشاه - نفسه ويخفي هذا الأمر الذي فيه فساد الأمة دون أن يبيّنه لهم!

### التبرّك بقبور الصالحين وآثارهم:

لم يقتصر عمل المسلمين على التبرّك بقبر النبي ﷺ وآثاره من بعد موته، بل كان ديدنهم هو التبرّك بقبور الصحابة والتابعين وصلحاء الأمة وآثارهم، والاستشفاء

---

(١) انظر: صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٧٢ كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل.

والاستسقاء بها أيضاً، ومن ذلك:

### ١- بلال الحبشي:

مؤذن رسول الله ﷺ، قبره بدمشق، وفي رأس القبر المبارك تاريخ باسمه، والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب، وقد جرب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبركين بزيارتهم<sup>(١)</sup>.

### ٢- أبو أيوب الأنصاري:

قال الحاكم: يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا قحطوا<sup>(٢)</sup>.

### ٣- صهيب الرومي:

قال السمهودي: إنهم جربوا تراب قبر صهيب

---

(١) انظر رحلة ابن جبير ص ٢٥١.

(٢) انظر: المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٥١٨. وصفة الصفوة لابن الجوزي ج ١

ص ٤٠٧.

للحمى<sup>(١)</sup>.

#### ٤- حمزة بن عبد المطلب:

نقل السمهودي قول الزركشي: ثم استثنى في عدم جواز حمل تراب المدينة إلى غيرها - لكونها حرماً - تربة حمزة (رضي الله عنه)، لإطباق الناس على نقلها للتداوي<sup>(٢)</sup>.

وقال صالح بن عبد الحلیم: سمعت عبد السلام بن يزيد الصنهاجي يقول: سألت أحمد بن يکوت عن تراب المقابر الذي كان الناس يحملونه للتبرک، هل يجوز أو يمنع؟ فقال: هو جائز، وما زال الناس يتبرکون بقبور العلماء والشهداء والصالحين، وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب في القديم من الزمان<sup>(٣)</sup>.

---

(١) فاء الوفا للسمهودي ج ١ ص ٦٩.

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ج ١ ص ١١٦.

(٣) انظر وفاء الوفا ج ١ ص ٣٠.

## ٥- الحسين بن عليّ عليه السلام :

عقد الشبراوي باباً كبيراً في مشهد رأس الحسين بن عليّ عليه السلام، وذكر فيه زيارته وشطراً من الكرامات له وإحياء يوم الثلاثاء بزيارته، قال:

والبركات في هذا المشهد مشاهدة مرئية، والنفحات العائدة على زائريه غير خفية، وهي بصحة الدعوى ملية والأعمال بالنية، ولأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلف، واستفتي القاضي زكي الدين عبد العظيم في ذلك، فقال: «هذا مكان شريف وبركته ظاهرة والاعتقاد فيه خير، والسلام». وما أجدر هذا المشهد الشريف والضريح الأنور المنيف بقول القائل:

نفسى الفداء لمشهد أسراره من دونها ستر النبوة مسبكٌ  
ورواق عزّ فيه أشرف بقعة ظلّت تحار لها العقول وتذهلُ  
تفضي لجهته النواظر هيبية ويرد عنه طرفه المتأمل

حسدت مكانته النجوم فودّ لو أمسى يجاوره السماك

الأعزل

وسما علواً أن تقبلَ تربه شفةً فأضحى بالجباه يقبلُ<sup>(١)</sup>.

٦- عمر بن عبد العزيز، الخليفة الأموي - المتوفى  
سنة ١٠١ هـ -:

قال الذهبي: قبره بدير سمعان يُزار<sup>(٢)</sup>.

٧- عليّ بن موسى الرضا عليه السلام :

قال أبو بكر محمد بن المؤمل: خرجنا مع إمام أهل  
الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثقفى، مع  
جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافدون إلى زيارة علي بن  
موسى الرضا بطوس. قال: فرأيت من تعظيمه - يعني ابن  
خزيمة - لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما

---

(١) انظر: الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي ص ١٢.

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٢١.

تَحَيَّرْنَا<sup>(١)</sup>.

كما وأخرج الخطيب البغدادي بإسناده عن أحمد بن جعفر ابن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال شيخ الحنابلة في عصره يقول: ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلاّ سهّل الله تعالى لي ما أحب!<sup>(٢)</sup>.

٨ - قال العلامة أحمد بن محمد المقرئ المالكي -  
المتوفى سنة ١٠٤١ هـ:

في (فتح المتعال بصفة النعال)، نقلاً عن ولي الدين العراقي، قال: أخبر الحافظ أبو سعيد بن العلا، قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر (هو الحافظ محمد بن ناصر أبو الفضل البغدادي - المتوفى

---

(١) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٣٣٩.

(٢) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٢٠.

سنة ٥٠٥ هـ - قال: ابن الجوزي في المنتظم ج ١٨: ص ١٠٣ رقم ٤٢٠١: كان حافظاً متقناً ثقة لا مغمز فيه).

وأن أحمد حنبل سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره، فقال: لا بأس بذلك!

قال: فأرينا التقي ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول: عجبت من أحمد عندي جليل! هذا كلامه أو معنى كلامه. وقال: وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به<sup>(١)</sup>.

وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فما بالك بمقادير الصحابة! وكيف بآثار الأنبياء ﷺ، وما أحسن قول مجنون ليلى:

---

(١) انظر: مناقب أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص ٦٠٩. والبداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ ص ٣٦٥، في حوادث سنة ٢٤١ هـ

أمرُّ على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن  
الديار<sup>(١)</sup>.

### قال القاضي عياض المالكي في الشفا:

وجدير بمواطن عمّرت بالوحي والتنزيل وتردد بها  
جبرئيل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح،  
وضجّت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها  
على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة نبيه ما  
انتشر، مدارس وآيات ومساجد وصلوات ومشاهد  
الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك  
الدين ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين ومتبوء  
خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة، وأين فاض عباها،

---

(١) انظر: فتح المتعال لأبي العباس المقرئ ص ٣٢٩.



ومواطن مهبط الرسالة، وأوّل أرض مسّ جلد المصطفى  
تراجها، أن تعظم عرصاتها وتنسّم نفحاتها وتقبّل ربوعها  
وجدرانها<sup>(١)</sup>.

فهذه هي سيرة المسلمين خلفاً عن سلف، وهذه مواقف  
شيخ الحنابلة الذي يدّعي ابن تيمية وأتباعه أنّهم تلاميذه في  
التبرّك بأثار الصالحين والأولياء، وليس لهم من حجة  
يحتجّون بها، سوى أن ذلك التبرّك ربّما يقود إلى الشرك  
وتأليه الشخص المتبرّك به! الذي تبين خلافه بالأدلة معتبرة  
عندهم.

التمسّح بالمتبرّك به، وهو موضوع المسح والتمسّح  
بالأشخاص والأشياء المتبرّك بهم.

ولا ندرى بأي دليل يحتج هؤلاء الجهّال على عدم  
مشروعية التمسح بالمتبرّك به؟ فليس لديهم من حديث ولا

---

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج ٢ ص ١٣١.

أثر يركن إليه ليثبت صحة دعواهم الفارغة، بينما تدلّ كل الآثار على خطئ آرائهم.

لقد مرّ بنا فيما سبق أن الصحابة كانوا يمسكون رمانة منبر النبي ﷺ بميامنهم ثم يدعون<sup>(١)</sup>.

وأن ابن عمر الصحابي كان يمسح بيده على مكان جلوس النبي ﷺ من المنبر ثم يمسح بها وجهه<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح البخاري أن عبد الله بن عمر كان يتحرى قصد أماكن من طرق المدينة فيصلّي فيها، وأنه رأى النبي ﷺ يصلي فيها<sup>(٣)</sup>.

ففي المصنف عن ابن جريج قال: أخبرني محمد بن المرتفع

---

(١) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج ٢ ص ٨٦.

(٢) انظر: أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٠، ترجمة عبد الله بن عمر، رقم ٣٠٨٠.

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٤، كتاب الصلاة، باب المساجد التي على طرق المدينة.

أنه رأى ابن الزبير وعمر بن عبد العزيز إذا استلما مسحاً وجوههما بأيديهما<sup>(١)</sup>.

وإذا ثبت التبرك بملامسة الكعبة والحجر الأسود فالمؤمن لا سيما إذا كان عالماً أو ولياً من أولياء الله أعظم حرمة من الكعبة فالتبرك بقبره ليس شركاً أو بدعة أو وسيلة للشرك - كما يقول المخالفون - بل هو جائز.

فعن عائشة: أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس، اذهب البأس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً...»<sup>(٢)</sup>.

وعنها أيضاً: أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم

---

(١) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ٥ ص ٤٢ ح ٨٩٣٠.

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٤، كتاب المرضى والطب، باب رقية

النبي ﷺ.

الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفي سقيمنا، بإذن ربنا»<sup>(١)</sup>.

وقال السمهودي: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح، قال بإصبعه هكذا، ووضع سبابته بالأرض ثم رفعها وقال: «بسم الله، تربة أرضنا بريق بعضنا يشفي سقيمنا بإذن الله»<sup>(٢)</sup>.

عن أبي حازم، أنه قال: أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، قال فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقال: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به فبصق رسول

---

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٤، كتاب الطب، باب انث في الرقية.

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ج ١ ص ٦٩.

الله ﷺ في عينيه ودعاه له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية... (١).

إن كل هذا يوضح بعض الأمور، منها: أن النبي ﷺ لم يكن يكتفي بالدعاء بل كان يمسح على العضو المريض أيضاً إذا كان للاستشفاء ويمسح على الرأس إذا كان للبركة، فلا بد إذاً من خصوصية للمسح.

ومنها أيضاً: إننا وجدنا في الروايات المتقدمة أن النبي ﷺ كان يدعو للاستشفاء بالتربة، وفي الأخبار هذه

---

(١) انظر: صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠، كتاب الدعاء، باب فضل من أسلم على يديه رجل، وج ٤ ص ٢٠٧، كتاب الفضائل، باب مناقب علي بن أبي طالب ؑ. مسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣. مجمع الزوائد للهيتمي ج ٦ ص ١٥٠، باب غزوة خيبر، وكتاب السنة لأبي عاصم ص ٥٩٤. السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٦ و ١٠٨، كتاب المناقب، فضائل علي بن أبي طالب. مسند أبي يعلى ج ١ ص ٢٩١. المعجم الكبير للطبراني ج ٦ ص ١٥٢.

ما يدل أيضاً على أمره بخلط التربة بالرقيق أيضاً لكي تتحقق  
البركة والشفاء بإذن الله، مما يدل على خصوصية معينة لتربة  
المدينة المنورة في جعلها سبباً للشفاء بإذن الله لما فيها من  
البركة التي اختصها الله بها، والآثار النبوية في ذلك كثيرة  
نذكر منها قوله ﷺ: «غبار المدينة شفاء من الجذام»<sup>(١)</sup>.  
ومنها قوله ﷺ: «غبار المدينة يبرئ الجذام»<sup>(٢)</sup>.  
ومنها قوله ﷺ: «غبار المدينة يطفى الجذام»<sup>(٣)</sup>.  
ومنها قوله ﷺ: «إن في غبارها شفاء من كل داء»<sup>(٤)</sup>.  
ومنها قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن تربتها لمؤمنة  
وإنها شفاء من الجذام»<sup>(٥)</sup>.

(١) الجامع الصغير ج ٢ ص ١٩٧ ح ٥٧٥٣.

(٢) الجامع الصغير ج ٢ ص ١٩٧ ح ٥٧٥٤.

(٣) الجامع الصغير ج ٢ ص ١٩٧ ح ٥٧٥٥.

(٤) كنز العمال ج ١٣ ص ٢٠٥. وفاء الوفا ج ١ ص ٦٧.

(٥) كنز العمال ج ١٣ ص ٢٠٥. وفاء الوفا ج ١ ص ٦٧.

أفلا تدلّ هذه الروايات على خصوصية أودعها الله تعالى في بعض الأماكن حتى صارت تربتها وغبارها شفاء من الأسقام المستعصية بإذن الله، وإذا كان خلط هذه التربة بالريق والاستشفاء بها من أمر النبي ﷺ، فكيف لا يجوز التبرّك بهذه التربة الشريفة إذن.

وما هي خصوصية الحجر الأسود، وبعض أركان الكعبة، حتى يتهافت المسلمون بالملايين على لمسها اقتداء بالنبي الكريم ﷺ، أو لا يكفي زيارة البيت دون لمس شيء منه إن كان ادعاء هؤلاء صحيحاً؟!

أو ليس معنى كل هذا أن لبعض الأماكن قدسية خاصة أودعها الله فيها، وأن البركة في تربتها وغبارها، فلم لا يجوز التمسّح بها وتقبيلها طلباً للبركة إذن؟!

فيتبيّن من كل ذلك أن التبرك أمر قد أقرّه الشارع العظيم، وعمل به الأنبياء عليهم السلام ومنهم نبينا ﷺ، ولم يأتنا أثر يثبت أن الله سبحانه وتعالى أو نبيه ﷺ قد نهيا عن

شيء من ذلك قط، فالمسلمون إذن ظلت سيرتهم منذ عهد النبي ﷺ على التبرّك به حياً، وبآثاره ميتاً، وتبرّك الصحابة بعضهم ببعض، وصلّوا في الأماكن التي صلّى فيها النبي ﷺ طلباً لبركتها، وظلّ ذلك دأب المسلمين جيلاً بعد جيل، يتلقون فيوضات البركات الإلهية دون أن يخامر عقائدهم شرك ولا ضلال، ودون أن يعمد أحدهم إلى تأليه شخص أو شيء متبرّك به، بل ظلّوا على مرّ القرون موحدين لله سبحانه وتعالى، معتقدين بأنه وحده القادر على كل شيء، وعلى إنزال البركات، وأنّ تبرّكهم بمخلوقاته ليس إلا من باب الحب لله والحب لمن يحبّه ويحبّونه، ولا شيء غير ذلك ممّا يدّعيه الجهال.

### التبرّك عند أهل البيت عليهما السلام

بعد أن أثبتنا في المباحث المتقدّمة، مشروعية التبرّك عند جميع طوائف المسلمين، وإقرار النبي ﷺ له، وأثبتنا أن



دأب الصحابة والتابعين الأخيار كان الاستمرار على هذا النهج في التبرك بآثار النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وحتى بالصالحين من هذه الأمة.

لا بد أن نورد بعض الأخبار حول التبرك عند أهل بيت النبوة عليهم السلام وحثهم عليه وترغيبهم فيه:

### تبركهم بقبر النبي ﷺ

١- لما حانت وفاة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، أوصى إلى أخيه الحسين عليه السلام، فكان ممّا أوصاه به، أنه قال: «فإذا قضيت نحبي فغمّضني وغسّلني وكفّني وأدخلني على سريري إلى قبر جدّي رسول الله ﷺ لأجدد به عهداً، ثم ردّني إلى قبر جدّتي فاطمة (بنت أسد) رضي الله عنها فادفني هناك»<sup>(١)</sup>.

٢- عن محمد بن مسعود، قال: رأيت أبا عبد الله

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٥٦.

الصادق عليه السلام انتهى إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله، فوضع يده عليه <sup>(١)</sup>.

٣- عن ابن فضال، قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام وهو يريد أن يودع للخروج إلى العمرة، فأتى القبر من موضع رأس رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد المغرب، فسلم على النبي صلى الله عليه وآله، ولزق بالقبر <sup>(٢)</sup>.

٤- لما عزم الإمام الحسين عليه السلام الخروج من مكة - بعد موت معاوية - خرج من منزله ذات ليلة وأقبل إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله، فقال: «السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة فرحك وابن فرحتك»، ثم جعل يبكي عند القبر، حتى إذا كان قريباً من الصبح، وضع رأسه على القبر فأغفى <sup>(٣)</sup>.

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٥٤.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٥٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٨. الفتوح لابن أعثم ج ٥ ص ٢٦.

٥- عن الرضا عليه السلام، قال: «لما أردت الخروج من المدينة إلى خراسان، جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى أسمع بكاءهم، ثم فرقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت لهم: إنّي لا أرجع إلى عيالي أبداً، ثم أخذت أبا جعفر فأدخلته المسجد ووضعت يده على حافة القبر وألصقته به، واستحفظته برسول الله صلى الله عليه وآله» (١).

### تبرّكهم بأثار بعضهم عليهم السلام

١ - عن سليمان بن خالد ومحمد بن مسلم قالوا: مضينا إلى الحيرة فاستأذنا ودخلنا إلى أبي عبد الله عليه السلام فجلسنا إليه وسألنا عن أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «إذا خرجتم فجزيتم الثويّة والقائم وصرتم من النجف على غلوة أو غلوتين، رأيتم ذكوات بيضاً بينها قبر قد جرفه السيل، ذلك قبر أمير

(١) الأنوار البهية للشيخ عباس القمي ص ١١٠.

المؤمنين عليه السلام». قال: فغدونا من غد فجزنا الثوية والقائم، وإذا ذكوات بيض فجئناها، فإذا القبر كما وصف قد جرفه السيل، فنزلنا فسلمنا وصلينا عنده ثم انصرفنا، فلمّا كان من الغد غدونا إلى أبي عبد الله عليه السلام فوصفنا له فقال: «أصبتم، أصاب الله بكم الرشاد»<sup>(١)</sup>.

٢- عن أبان بن تغلب قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام، فمرّ بظهر قبر فنزل فصلّي ركعتين، ثم تقدم قليلاً فصلّي ركعتين، ثم سار قليلاً فنزل فصلّي ركعتين، ثم قال: «هذا موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام»، قلت: جعلت فداك، فما الموضعين اللذين صلّيت فيهما؟ قال: «موضع رأس الحسين عليه السلام، وموضع منبر القائم»<sup>(٢)</sup>.

٣- كان أهل البيت عليهم السلام يتبركون بحجر في بيت

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٢٣٧.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٣٤١.

فاطمة عليها السلام، وعن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «أنه ولدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين على ذلك الحجر، أو كانت فاطمة تصلي إليها»<sup>(١)</sup>.

### التبرك والاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام

١- عن أبي اليسع، قال: «سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام وأنا أسمع عن الغسل إذا أتى قبر الحسين عليه السلام، قال: أجعله قبلة إذا صليت؟ قال: «تنح هكذا ناحية». قال: آخذ من طين قبره ويكون عندي أطلب بركته؟ قال: «نعم»، أو قال: «لا بأس بذلك»<sup>(٢)</sup>.

٢- عن أبي يعفور، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يأخذ الإنسان من طين قبر الحسين عليه السلام فينتفع به ويأخذه غيره فلا ينتفع به، فقال: «لا والله، لا يأخذه أحد وهو يرى أن الله

---

(١) وفاء الوفا للسهمودي ج ١ ص ٥٧٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٨٣ ص ٣٢٠.

ينفعه به إلا نفعه به»<sup>(١)</sup>.

٣- عن الصادق عليه السلام: «إن الله جعل تربة الحسين عليه السلام شفاءً من كل داء، وأماناً من كل خوف، فإذا أخذها أحدكم فليقبلها وليضعها على عينه وليمرّها على جسده»<sup>(٢)</sup>.

٤- عن اليقطيني، قال: «بعث إليّ أبو الحسن الرضا عليه السلام رزم ثياب وغلماناً - إلى أن قال -، فلما أردت أن أعبي الثياب رأيت في أضعاف الثياب طيناً، فقلت للرسول ما هذا؟ فقال: ليس توجه بمتاع إلا جعل فيه طيناً من قبر الحسين عليه السلام، ثم قال الرسول: قال أبو الحسن عليه السلام: «هو أمان بإذن الله»<sup>(٣)</sup>.

٥- سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام: «أخذ من طين قبر

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٩. وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٤٠٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٨٣ ص ٢٧٦.

(٣) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥٢٣ ب ٧٠، من أبواب المزار ح ٦.

الحسين يكون عندي أطلب بركته؟ قال: «لا بأس بذلك»<sup>(١)</sup>.  
 ٦- إن الصادق عليه السلام مرض فأمر من عنده أن يستأجروا له أجيراً يدعو عند قبر الحسين عليه السلام، فوجدوا رجلاً فقالوا له ذلك، فقال: أنا أمضي، ولكن الحسين إمام مفترض الطاعة، وهو إمام مفترض الطاعة! فرجعوا إلى الصادق عليه السلام وأخبروه، فقال: «هو كما قال، ولكن ما عرف أن الله بقاعاً يستجاب فيها الدعاء، فتلك البقعة من تلك البقاع»<sup>(٢)</sup>.

٧- عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «ما على أحدكم إذا دفن الميت ووسّده بالتراب، أن يضع مقابل وجهه لبنة من طين الحسين عليه السلام ولا يضعها تحت رأسه»<sup>(٣)</sup>.

(١) الوسائل ج ١٠ ص ٤١٥. البحار ج ١٠١ ص ١٢٥.

(٢) الوسائل ج ١٠ ص ٤٢١ - ٤٢٢.

(٣) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٦.

٨- كان لأبي عبد الله الصادق عليه السلام خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فكان إذا حضرت الصلاة صبّه على سجادة وسجد عليه، ثم قال: «السجود على تربة الحسين عليه السلام يخرق الحجب السبع»<sup>(١)</sup>.

٩- عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: «إن فاطمة بنت رسول الله عليه السلام، كانت سبّحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات، وكانت عليها السلام تديرها بيدها، تكبّر وتسبّح، حتى قتل حمزة بن عبد المطلب، فاستعملت تربته وعملت التساييح، فاستعملها الناس، فلما قتل الحسين (صلوات الله عليه)، عدل بالأمر إليه، فاستعملوا تربته لما فيه من الفضل والمزية»<sup>(٢)</sup>.

١٠- سُئِلَ أبا عبد الله عليه السلام عن استعمال الترتين من طين

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٥.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٣.



قبر حمزة وقبر الحسين عليه السلام، والتفاضل بينهما، فقال عليه السلام:  
«السبحة التي هي من طين قبر الحسين عليه السلام تسبّح بيد  
الرجل من غير أن يسبّح»<sup>(١)</sup>.

١١- عن الصادق عليه السلام: «من أدار الحجر من تربة  
الحسين عليه السلام فاستغفر مرة واحدة كتب الله له سبعين مرة،  
وإن مسك السبحة ولم يسبّح بها، ففي كل حبة منها سبع  
مرات»<sup>(٢)</sup>.

١٢- عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر  
بن محمد عليهما السلام يقولان: «إن الله عوّض الحسين عليه السلام من قتله  
أن الإمامة في ذريته والشفاء في تربته وإجابة الدعاء عند  
قبره»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٣.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٦.

(٣) الوسائل ج ١٠ ص ٣٢٩.

١٣- عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه أخبره بقتل الحسين عليه السلام إلى أن قال: «ألا وإن الإجابة تحت قبته، والشفاء في تربته، والأئمة من ولده»<sup>(١)</sup>.

١٤- عن الحارث بن المغيرة قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنني رجل كثير العلل والأمراض وما تركت دواء إلا تداويت به، فقال لي: «أين أنت عن طين قبر الحسين بن علي عليه السلام، فإن فيه شفاء من كل داء، وأمناً من كل خوف، فإذا أخذته فقل هذا الكلام (اللهم إني أسألك بحق هذه الطينة، وبحق الملك الذي أخذها، وبحق النبي الذي قبضها، وبحق الوصي الذي حلّ فيها، صلّ على محمد وآل محمد وأهل بيته، وافعل بي كذا وكذا)»<sup>(٢)</sup>.

١٥- عن محمد بن مسلم: أنه كان مريضاً، فبعث إليه أبو

---

(١) الوسائل ج ١٠ ص ٣٥٢. كفاية الأثر للخزاز ص ٢٩٠.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٨.

عبد الله عليه السلام بشراب فشربه، فكأنما نشط من عقال، فدخل عليه فقال: «كيف وجدت الشراب»؟ فقال: لقد كنت آيساً من نفسي فشربته فأقبلت إليك فكأنما نشطت من عقال. فقال: «يا محمد، إن الشراب الذي شربته كان فيه من طين قبور آبائي، وهو أفضل ما نستشفي به فلا تعدل به، فإننا نسقيه صبياننا ونساءنا فنرى منه كل خير»<sup>(١)</sup>.

١٦- عن الصادق عليه السلام: «حنكوا أولادكم بتربة الحسين فإنها أمان»<sup>(٢)</sup>.

١٧- عن الصادق عليه السلام: «في طين قبر الحسين عليه السلام الشفاء من كل داء، وهو الدواء الأكبر»<sup>(٣)</sup>.

١٨- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أصابه علّة فبدأ

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٨.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٨.

(٣) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٨.

بطين قبر الحسين عليه السلام شفاه الله من تلك العلة، إلا أن تكون  
علة السام»<sup>(١)</sup>.

١٩- عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: «كل طين حرام  
كالميتة والدم وما أهلّ لغير الله به، ما خلا طين قبر  
الحسين عليه السلام، فإنّ فيه شفاء من كل داء»<sup>(٢)</sup>.

٢٠- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أكل الطين حرام على  
بني آدم، ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام، من أكله من وجع  
شفاه الله»<sup>(٣)</sup>.

٢١- عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «طين قبر  
الحسين عليه السلام شفاء من كل داء، وأمان من كل خوف، وهو لما

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٨.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٢٠. الوسائل ج ١٠ ص ٤١٥. أمالي الشيخ  
ص ٢٠٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ١٣٠. الوسائل ج ١٠ ص ٤١٥. أمالي الشيخ  
ص ٢٠٢.

أخذ له» (١).

### التبرّك بكسوة الكعبة:

١- عن عتبة بن عبد الله، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام،  
عما يصل إلينا من ثياب الكعبة، هل يصلح لنا أن نلبس منها  
شيئاً؟ قال: «يصلح للصبيان والمصاحف والمخدّة، يتغي  
بذلك البركة إن شاء الله تعالى» (٢).

٢- عن مروان بن عبد الملك، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام  
عن رجل اشترى من كسوة الكعبة شيئاً فاقتضى ببعضه  
حاجته، وبقي ببعضه في يده، هل يصلح بيعه؟ قال: «يبيع ما

---

(١) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ١٣١- ١٣٢. الوسائل ج ١٠ ص ٤١٥. أمالي الشيخ:  
ص ٢٠٢.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٢٢٩. التهذيب ج ٥ ص ٤٤٩ ح ٢١٣. ومن لا يحضره  
الفقيه ج ٢ ص ٢٥٢ ح ٢٣٣٣. ووسائل الشيعة ج ١٣ ص ٢٥٧ ب ٢٦، من  
مقدمات الطواف ح ١.

أراد، ويهب ما لم يرد، ويستنفع به ويطلب بركته...»<sup>(١)</sup>.

هذا وقد وردت الأخبار واستفاضت عن التبرك بالقرآن، وبشهر رمضان، وبالسحور، وبتراب المدينة وتمرها، وبماء زمزم، وبجبل أحد وغيرها كثير، مما يدل على أهمية موضوع التبرك، لذا نجد المسلمين على اختلاف مشاربهم يبادرون إلى التبرك بالقرآن الكريم ويضعونه على العين للتبرك والشفاء، لأن القرآن فيه الشفاء، ويتبركون بكل ما عرفوا فيه البركة يتغنون بذلك التقرب من الله سبحانه وتعالى وطاعة لأمر النبي ﷺ، ولا يخطر على قلب أحدهم بأنه يفعل ذلك تقرباً من الشخص أو الشيء المتبرك به، أو أنه يعتبر عمله هذا عبادة لهذا الشخص أو الشيء المتبرك به، بل الجميع متصافقون على أن التبرك هو من الأعمال التي يُبتغى بها وجه الله تعالى ولا شيء سواه، فمثلاً

---

(١) الوسائل ج ١٣ ص ٢٥٨ ب ٢٦، من أبواب مقدمات الطواف ح ٣.

أنّ تقبيل القرآن يقصد به تقديس واحترام كلام الله عز وجل  
 وليس المقصود به تقبيل الورق أو الغلاف أو غيره، وكذلك  
 هو التقبيل بالنسبة إلى القبور فالغرض منه تقبيل يد المدفون  
 فيه وتعظيم شأنه لما له من الجاه عند الله عز وجل، فليس هذا  
 العمل عبادة وتقديساً للحجر كما هو واضح ظاهر؛ فعلى  
 هذا جرت سنة المسلمين منذ عهد النبي ﷺ، وإلى يومنا  
 هذا، ولم يخالف جمهور المسلمين إلا بعض الشذاذ الذين لا  
 يفقهون كتاب الله، فيتناولون المتشابه منه، ويحرفون الكلم  
 عن مواضعه ليضلّوا المسلمين متهمين إياهم بالشرك  
 والبدعة، إلا أن المسلمين يعلمون جيداً خبث هذه  
 الأساليب وهدفها المنحرف، لذا انبرى جهابذة العلماء من  
 كلا الفريقين (السنة والشيعة) للردّ على بدع هذه الشذمة  
 الضالّة، وأبطلوا حججهم بالأدلة الدامغة، وردوا كيدهم  
 إلى نحورهم، وكان في طليعة من تصدّى لأذنب السلفية،  
 هو الشيخ سليمان بن عبد الوهاب - وهو الأخ الشقيق

لمحمد بن عبد الوهاب حامل لواء هذه البدعة - فردّ عليه  
بكتاب (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية)، ثم تلاه  
غيره من العلماء الغيارى على مصلحة الإسلام في الرد على  
هذه الفئة ودحض حججها.



## السجود على التربة الحسينية

وقبل الدخول في الموضوع لابد من مقدمات تمهيديه:

### المقدمة الأولى: مشروعية السجود على التربة

أنه لا شك أن أصل العمل العبادي يجب أن يتعين من قبل الشرع المقدس؛ لأنَّ العبادة أمر توقيفي؛ تتوقف مشروعيتها وكيفية إجرائها وشرائطها على بيان الشارع الأقدس، وهذا أمر المتسالم عليه عند جميع المسلمين، ولا شك أنَّ السجود لله تعالى من مصاديق العبادة، وتتوقف بيانه وبيان كلفه وشرائطه على بيان الشارع وإذنه.

أنه قد ورد عن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متواتراً أنه قال: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

رواه البخاري في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله

عن رسول الله ﷺ قال: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»<sup>(١)</sup>. ورواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي ذر مثله<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن خزيمة في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «جعلت لنا الأرض كلها مسجداً وطهوراً»<sup>(٣)</sup>.

وروى البيهقي عن النبي ﷺ قال: «جعلت لي الأرض طيبة وطهوراً ومسجداً»<sup>(٤)</sup>.

وروى العلامة المجلسي بسنده عن النبي ﷺ قال: «جعلت لك ولأمتك الأرض كلها مسجداً وطهوراً»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) انظر: صحيح البخاري ج ١ ص ١١٣، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ

جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

(٢) انظر: مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٦١.

(٣) انظر: صحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ٥ ح ٧٨٧.

(٤) انظر: السنن الكبرى لأبي بكر البيهقي ج ٢ ص ٦١٠ ح ٤٢٧٧.

(٥) انظر: بحار الأنوار ج ٨٣ ص ٢٧٧.

وروى أيضا عنه صلى الله عليه «إن الله جعل لي الأرض مسجداً  
وطهوراً أينما كنت أتيهم وأصلي عليها»<sup>(١)</sup>.

وروى عنه صلى الله عليه: «الأرض لك ولأمتك طهوراً  
ومسجداً»<sup>(٢)</sup>.

وروي عنه صلى الله عليه: «جعلت لي الأرض مسجداً تراها  
طهوراً»<sup>(٣)</sup>.

وروي عنه صلى الله عليه: «جعلت الأرض مسجداً تراها  
وطهوراً»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية عن أبي أمامة الباهلي: أن رسول الله صلى الله عليه قال:  
«فضلني ربي على الأنبياء عليهم أو على الأمم بأربع، قال:

---

(١) انظر: بحار الأنوار ج ٨٠ ص ٢٧٧.

(٢) انظر: بحار الأنوار ج ٨٠ ص ٢٧٨.

(٣) انظر: بحار الأنوار ج ٨٣ ص ٢٧٨. ومسند أبي عوانة ج ١ ص ٣٠٣.

(٤) انظر: شرح عون المعبود ج ١ ص ١٨٢.

أُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَجَعَلْتُ الْأَرْضَ كُلَّهَا لِي وَلِأُمَّتِي  
مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيْنَمَا أُدْرِكْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي الصَّلَاةَ  
فَعِنْدَهُ مَسْجِدُهُ وَعِنْدَهُ طَهُورُهُ»<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْمَقْبُولَةِ مَضمُونًا  
لَدِي جَمِيعَ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ وَمُحَدِّثِيهِ يَتَضَحَّ أَنْهُ يَجِبُ عَلَى جَمِيعِ  
الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا مَوْضِعًا مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ لِلسُّجُودِ،  
تَرَابًا كَانَ أَوْ صَخْرًا، أَوْ حَصَى أَوْ نَبَاتًا، وَلَا يَجُوزُ التَّعْدِي عَنِ  
ذَلِكَ مِنْ دُونَ عِذْرِ مَشْرُوعٍ.

كَمَا أَنَّ لَفْظَةَ (جَعَلَ) هُنَا تَعْنِي - مِنْ دُونَ إِهَامٍ - التَّشْرِيعَ  
وَالتَّقْنِينَ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ (أَيَّ السُّجُودِ  
عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ) حُكْمٌ إلهِي شَرَّعَهُ اللهُ لِاتِّبَاعِ الْإِسْلَامِ.

---

(١) انظر: مصباح المسند للشيخ قوام الدين القمي الوشني (مخطوط)،  
وقريب منه ما في تيسير الوصول، لابن إمام الكاملية المتوفى سنة ٨٧٤  
هـ ج ١ ص ٣١٥.

## المقدمة الثانية : ما سجد عليه الصحابة

أنه هناك أحاديث أخرى تؤكد، وتدلل بالالتزام على وجوب السجود على وجه الأرض منها: حديث تريد الحصى للسجود عليها، فقد روى أبو داود بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «كنت أصلي مع النبي ﷺ الظهر فأخذ قبضة من الحصى فأجعلها في كفي ثم أحوؤها إلى الكف الأخرى حتى تبرد ثم أضعها لجبيني حتى اسجد عليها من شدة الحر»<sup>(١)</sup>.

وعلق عليه البيهقي بقوله: قال الشيخ: «ولو جاز السجود على ثوب متصل به لكان ذلك أسهل من تريد الحصى بالكف ووضعها للسجود»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: سنن أبي داود ج ١ ص ١٠٠ ح ٣٩٩، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين ج ١ ص ١٩٥، والبيهقي في سننه الكبرى ج ٢ ص ١٠٥.

(٢) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٥.

بل ونحن نقول: ولو كان السجود على مطلق الثياب سواء كان متصلاً أم منفصلاً جائزاً، لكان أسهل من تبريد الحصى، ولأمكن حمل منديل أو سجادة أو ما شابه للسجود عليه.

وروى أنس قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في شدة الحر، فيأخذ أحدنا الحصباء في يده فإذا برد وضعه وسجد عليه»<sup>(١)</sup>.

وعن خباب بن الأرت قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ شدة الرمضاء في جباهنا وأكفنا فلم»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الأثير في معنى الحديث: «إنهم لما شكوا إليه ما يجدون من ذلك، لم يفسح لهم أن يسجدوا على طرف

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٦.

(٢) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٥.

ثيابهم»<sup>(١)</sup>.

هذه المأثورات تعرب عن أنّ السنّة في الصلاة كانت جارية على السجود على الأرض فقط، حتّى أنّ رسول الله ﷺ لم يفسح للمسلمين العدول عنها إلى الثياب المتّصلة أو المنفصلة، وهو ﷺ مع كونه بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً أوجب عليهم مسّ جباههم الأرض، وإنّ أذتهم شدة الحرّ. ومنها: الروايات التي أمر النبي ﷺ بالسجود على التراب، ما رواه خالد الجهني: قال: رأى النبي ﷺ صهيياً يسجد كأنّه يتّقي التراب فقال له: «تربّ وجهك يا صهيب»<sup>(٢)</sup>.

والظاهر أنّ صهيياً كان يتّقي عن التتريب، فكان يسجد

---

(١) انظر: النهاية، لابن أثير ج ٢ ص ٤٩٧، مادة «شكا».

(٢) انظر: المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ١ ص ٣٩٢ ح ١٥٢٨، ورواه المتقي الهندي في كنز العمال ج ٧ ص ٤٦٥ ح ١٩٨١٠.

على الثوب المتصل والمنفصل، فأمره النبي ﷺ بالترتيب،  
وعلى كل تقدير، فالحديث يدل على وجوب السجود على  
التراب لأن أمر ظاهر في الوجوب.

وروى الترمذي بسنده عن أم سلمة أمها قالت: «رأى  
النبي ﷺ غلاماً لنا يقال له أفلح ينفخ إذا سجد، فقال:  
يا أفلح ترّب»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «يا رباح ترّب وجهك»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو صالح قال: "دخلت على أم سلمة، فدخل  
عليها ابن أخ لها فصلّى في بيتها ركعتين، فلما سجد نفخ  
التراب، فقالت أم سلمة: ابن أخي لا تنفخ فإنّي سمعت  
رسول الله ﷺ يقول لغلام له، - يقال له يسار- ونفخ:

---

(١) انظر: سنن الترمذي ج ٢ ص ٢٢١ ح ٣٢٧، ورواه ابن حجر في الإصابة  
ج ١ ص ٥٨، وابن الأثير في أسد الغابة ج ١ ص ١٠٦، في ترجمة أفلح  
مولى رسول الله ﷺ.

(٢) انظر: مسند أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٣٢٣، والمستدرک علی الصحیحین  
للحاكم النيسابوري ج ١ ص ٢٧١، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٢٥٢.



«تَرَّبَ وَجْهَكَ لِلَّهِ»<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى على الباحث أنه ورد نظير هذه الأحاديث في كثير من المصادر والجوامع الحديثية الإسلامية السنية والشيعية.

ويتَّضح من لفظة (تَرَّبَ) في كلام رسول الله ﷺ أمران: الأول: أنه على الإنسان أن يضع جبهته - عند السجود - على التراب.

والآخر: أن وضع الجبهة على الأرض عند السجود واجب التنفيذ؛ لأنَّ الأمر ظاهر في الوجوب فلفظة (تَرَّبَ) التي هي مشتقة من التراب جاءت في صيغة الأمر الدالة على الوجوب.

ومن واضح أن فلسفة تفضيل السجود على خصوص التراب، هي أن هذا العمل أصدق مظهر للتواضع

---

(١) انظر: مسند أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٣٠١.

والخضوع أمام الله خالق الكون ورب العالمين، وهو كفيلاً بأن يحرّر الإنسان من الاستمرار في التكبر والعجب.

ولهذا يقول رسول الإسلام ﷺ: «إذا صلى أحدكم فليلزم جبهته وأنفه الأرض حتى يخرج منه الرغم». قال صاحب النهاية: أي يظهر ذلّه وخضوعه<sup>(١)</sup>.

ومنها: الروايات التي فيها الأمر بحسر العمامة عن الجبهة؛ ما روي عن النبي ﷺ «أنه كان إذا سجد رفع العمامة عن جبهته»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما روي عن صالح بن حيوان السبائي قال: «إن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسجد بجنبه وقد اعتم على جبهته، فحسر رسول الله ﷺ عن جبهته»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث ج ٢ ص ٢٢٩.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٤٥٥.

(٣) انظر: المدونة الكبرى للمالك ج ١ ص ٧٢، وسنن البيهقي ج ٢ ص ١٠٥.

ومنها: ما رواه عياض بن عبدالله القرشي قال: «رأى رسول الله ﷺ رجلاً يسجد على كور عمامته فأوماً بيده: ارفع عمامتك وأوماً إلى جبهته»<sup>(١)</sup>.

ومنها ما روي عن النبي ﷺ: «انه نهى أن يسجد المصلي على ثوبه أو على كفه أو على كور عمامته»<sup>(٢)</sup>.

هذه الروايات وغيرها تكشف عن أنه لم يكن للمسلمين يوم ذلك تكليف إلا السجود على الأرض وهذا كان أمراً مسلماً في زمن رسول الله ﷺ إلى درجة أن بعض المسلمين كان إذا أراد أن يسجد على كور عمامته بدل وضع الجبهة على الأرض نهاه رسول الله ﷺ عن ذلك، على حين إذا كان السجود على كل الشيء حتى الملابس كالعمامة لما كان يمنع منها رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: سنن البيهقي ج ٢ ص ١٠٥.

(٢) انظر: دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي ج ١ ص ١٧٩.

ومنها: الروايات الدالة على لزوم السجدة على الجبهة  
ولصوقها وتمكينها بالأرض، فقد روي عن رسول الله ﷺ  
أنه قال: «إذا صلى أحدكم فليلزم جبهته وأنفه الأرض حتى  
يخرج منه الرغم»<sup>(١)</sup>.

من أرغم الله أنفه أي ألصقه بالرغم وهو التراب، هذا  
هو الأصل ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف  
والانقياد على كرهه فالمراد من قوله ﷺ: حتى يخرج منه  
الرغم أي يظهر ذله وخضوعه.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ «رأى رجلا يصلي فإذا  
سجد لم يمس أنفه الأرض فقال: النبي ﷺ لا صلاة لمن لا  
يمس أنفه الأرض ما يمس الجبين»<sup>(٢)</sup>.

فالدلالة في الحديث الأول بالأولوية، إذ إيجاب إصباح

---

(١) انظر: النهاية لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٩.

(٢) انظر: سنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٤.

الأنف يدل على إيجاب إصصاق الجبهة طبعاً، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْلُ لَهُمَا أَفٌّ﴾ حيث تدل على حرمة الإيذاء والعقوق بالأولية وأما الحديث الثاني، فقد صرح فيه ابن عباس بحكم الجبهة وأن الصلاة تكون باطلة مع عدم الإصصاق.

وروي عن النبي ﷺ: «إذا سجدت فمكن جبهتك وانفك من الأرض»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ لأبي ذر: «الأرض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل»<sup>(٢)</sup>.

وعن رفاعة بن رافع مرفوعاً: «ثم يكبر فيسجد فيمكن

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢٧٢.

(٢) انظر: صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٢، كتاب الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة.

جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتستوي»<sup>(١)</sup>.

وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «إذا سجدت  
فممكن جبهتك وأنفك من الأرض»<sup>(٢)</sup>.

وعن سلمان عن النبي ﷺ «تمسحوا بالأرض فإنها بكم  
برة»<sup>(٣)</sup>.

وعن أم عطية قالت قال رسول الله ﷺ «إن الله لا يقبل  
صلاة من لا يصيب انفه الأرض»<sup>(٤)</sup>.

وعن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ رأى رجلا  
يصلى فإذا سجد لم يمس أنفه الأرض فقال النبي ﷺ: «لا  
صلاة لمن لا يمس انفه الأرض ما يمس الجبين»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) انظر: المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری ج ١ ص ١٤٢.

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢٧٢.

(٣) انظر: المعجم الكبير للطبراني ج ١ ص ١٤٨.

(٤) انظر: المعجم الكبير للطبراني ج ٥ ص ٨٩.

(٥) انظر: سنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٤.

وما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أخبرني عما يجوز السجود عليه وعما لا يجوز، قال: «السجود لا يجوز إلا على الأرض أو على ما أنبتت الأرض إلا ما أكل أو لبس»، فقال له: جعلت فداك ما العلة في ذلك؟ قال: «لان السجود خضوع لله عز وجل فلا ينبغي أن يكون على ما يؤكل ويلبس، لان أبناء الدنيا عميد ما يأكلون ويلبسون، والساجد في سجوده في عبادة الله عز وجل، فلا ينبغي أن يضع جبهته في سجوده على معبود أبناء الدنيا الذين اغتروا بغرورها»<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: وسائل الشيعة ج ٥ ص ٣٤٣، باب ١، من أبواب ما يصح السجود عليه.

## المقدمة الثالثة: السيرة النبوية فيما سجد عليه ﷺ

بيان السيرة النبوية ﷺ في كيفية سجوده ﷺ: فإن المسلمين متفقون جميعاً على أن رسول الله ﷺ أسوة لكافة المسلمين في كل عصر ومصر، وأن سيرته العلمية مشعل وضوء ينير طريق المسلمين في جميع أبعاد الحياة.

يقول القرآن الكريم في هذا المجال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَبِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

من هنا لا بد حتى في مسألة السجود من التأسي بسيرة رسول الله ﷺ والاقتران بسيرته واتباع سنته.

والآن لا بد من دراسة السيرة العملية لرسول الله ﷺ في هذا المجال في ضوء الروايات الإسلامية، وبخاصة الأحاديث الواردة في مؤلفات أهل السنة.

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.



يستفاد من ثنايا الأحاديث الكثيرة الواردة في هذا المجال أنه ﷺ كان يسجد على الأرض والأشياء المصنوعة مما ينبت من الأرض كالحصير وهذا الطريق هو الذي يسلكه الشيعة اتباعاً لرسول الله ﷺ واستئنا بسترته. وعلى هذا ينبغي أن ندرج الروايات والأحاديث المذكورة في الصنفين الآتين:

**الصنف الأول:** الأحاديث التي وردت حول سجود النبي ﷺ على الأرض (تراباً كان أو حجر أو غيره). ونذكر من هذه الأحاديث نماذج للاطلاع:

فقد أخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن الوائل بن حجر، أنه قال: «رأيت النبي ﷺ إذا سجد وضع جبهته وأنفه على الأرض»<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ١٤١، في ترجمة مسروق بن الأجدع.

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک بسنده عن ابن عباس قال: «أن النبي ﷺ سجد على الحجر»؛ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه<sup>(١)</sup>.

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني في كتابه المصنف بسنده عن عائشة قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ متقيا وجهه بشيء»<sup>(٢)</sup>؛ تعنى في السجود.

هذه الرواية تدل على أن رسول الله ﷺ كان يسجد دائما على الأرض، ويتجنب الفصل بين جبهته الشريفة والأرض بأي مانع وعائق.

وأخرج النسائي في سننه بسنده عن أبي سعيد الخدري وهو من صحابة النبي ﷺ قوله: «بصرت عينا رسول

---

(١) انظر: المستدرک على الصحيحين ج ١ ص ٤٧٣.

(٢) انظر: المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ١ ص ٣٩٧.

الله ﷺ على جبينه وأنفه أثر الماء والطين»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن أبي هريرة قال: «سجد رسول الله ﷺ في يوم مطير حتى أتى لأنظر أثر ذلك في جبهته وأرنبته»<sup>(٢)</sup>.

ويتضح من هذا الحديث ونظائره بجلاء أن النبي ﷺ كان يرجح السجود على وجه الأرض حتى في حال نزول المطر، بحيث شوهد أثر الماء والطين على جبهته الشريفة. وأخرج البيهقي بسنده عن عباس، قال: «رأيت رسول الله ﷺ يصلي في كساء أبيض في غداة باردة يتقي بالكساء برد الأرض بيده ورجله»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن ابن عباس أنه قال:

---

(١) انظر: سنن النسائي ج ٢ ص ٢٠٩.

(٢) انظر: المعجم الأوسط للطبراني ج ١ ص ٣٦.

(٣) انظر: سنن البيهقي ج ٢ ص ١٠٨.

«رأيت رسول الله ﷺ في يوم مطير وهو يتقي الطين إذا سجد بكساء عليه يجعله دون يديه إلى الأرض إذا سجد»<sup>(١)</sup>.

ويستفاد من ظاهر هذه الأحاديث أن النبي ﷺ كان حتى في الحالات الاضطرارية كالمطر والبرد الشديد، لا يضع قطعة من القماش بين جبهته والأرض كعازل يمنع من الرطوبة والبرودة الشديدة، لأنه ليس في الأحاديث المذكورة إشارة إلى وضع اللباس بين جبهته ووجه الأرض.

**الصنف الثاني:** الأحاديث التي تحكي عن السجود النبي ﷺ على أجزاء بعض النباتات كالحصير؛ وقد أورد المحدثون الإسلاميون من الشيعة والسنة هذا النوع من الأحاديث في كتبهم أو مؤلفاتهم الحديثية المعتبرة. وهنا نذكر نماذج من هذه الأحاديث وخاصة ما ورد منها في جوامع

---

(١) انظر: مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٦٥.

الحديثية لأهل السنة:

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدري أنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فرأيتَه يصلي على حصير ويسجد عليه<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حجر في فتح الباري: ومن طريق أبي سلمة عن عائشة: «أن النبي ﷺ كان له حصير يبسطه ويصلي عليه»؛ وفي مسلم، حديث أبي سعيد: «انه رأى النبي ﷺ يصلي على حصير»<sup>(٢)</sup>.

هذه الروايات وغيرها تبين وتعكس سيرة النبي ﷺ في مجال السجود ويتبين من خلالها بوضوح أنه ﷺ كان

---

(١) انظر: صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٣، كتاب الصلاة، باب الصلاة في ثوب واحد.

(٢) انظر: فتح الباري ج ١ ص ٤١٣.

ملتزما بأن يسجد على الأرض والتراب وبعض ما ينبت من الأرض مثل الحصير المصنوع من خوص جريد النخل، ولا نرى في هذه الروايات أي أثر من سجوده ﷺ على المأكولات والملبوسات أبدا.

وهذه الحقيقة هي التي يعتقد بها الشيعة، وما يعملون به الشيعة في سجودهم؛ لأن الشيعة يعتقدون أن السنة النبوية والسيرة المحمدية المباركة هي - بعد الوحي الإلهي، والقرآن الكريم - الهادي والمرجع للمسلمين، وعلى المسلمين جميعا أن يعملوا على وفقه، ويتبعوه، ولا يتجاوزوه ولا يتقدموه: عملا بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) سورة الحجرات: ١٠.

## المقدمة الرابعة: سيرة الصحابة والتابعين

بيان سيرة الصحابة والتابعين في باب السجود: لقد نقل المؤلفون والمحدثون الإسلاميون في جوامعهم الحديثية أحاديث وروايات عديدة تحكي برمتها عن سيرة الصحابة والتابعين العملية في قضية السجود هذه، وتكشف جميعها عن أن صحابة النبي ﷺ وتابعيه كانوا يلتزمون السجود على مجرد الأرض (ترابا كان أو حجرا أو غيره) وبعض أجزاء النبات كالحصير في حال الاختيار وفي الظروف العادية وكانوا يتجنبون السجود على الثوب أو القماش وغيرها من الملابس؛ ونشير فيما يأتي إلى طائفة من هذه الأحاديث:

منها: ما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بسنده عن نافع أنه قال: «إن ابن عمر كان إذا سجد وعليه العمامة يرفعها

حتى يضع جبهته بالأرض»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن سعد وغيره: «أنه كان مسروق بن الأجدع من أصحاب ابن مسعود لا يرخص في السجود على غير الأرض حتى في السفينة، وكان يحمل في السفينة شيئاً يسجد عليه»<sup>(٢)</sup>.

وروي ابن أبي شيبة بسنده عن ابن عيينة عن رزين مولى آل عباس قال: «أرسل إلى علي ابن عبد الله بن عباس أن أرسل إليّ بلوح من المروة أسجد عليه»<sup>(٣)</sup>.

وروى ابن سعد في الطبقات سنده عن أبي أمية أنه قال: «إن أبا بكر كان يسجد أو يصلي على الأرض»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٥.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٥٣؛ والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ٢ ص ٥٨٣.

(٣) انظر: المصنف لابن أبي شيبة ج ١ ص ٣٠٨.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٥٣؛ والمصنف لعبد الرزاق





وأخرج الهيثمي بسنده عن أبي عبيدة: «أن ابن مسعود كان لا يصلي أو لا يسجد إلا على الأرض»<sup>(١)</sup>.

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني بسنده عن نافع أنه قال: «أن ابن عمر كان يكره أن يسجد على كور عمامته حتى يكشفها»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج البيهقي بسنده عن عبادة بن الصامت: «أنه كان إذا قام إلى الصلاة حسر العمامة عن جبهته»<sup>(٣)</sup>.

وروى عبد الرزاق الصنعاني: «أنه كان إبراهيم النخعي الفقيه الكوفي التابعي يقوم على البردى ويسجد على



الصنعاني ج ٢ ص ٥٨٣.

(١) انظر: مجمع الزوائد للهيثمي ج ٢ ص ٥٧.

(٢) انظر: المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ١ ص ٤٠١ ح ١٥٧٠.

(٣) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٦.

الأرض»، قال الراوي: قلنا ما البردى؟ قال الحصير<sup>(١)</sup>.

وروى ابن حجر في الفتح الباري أنه كان عمر بن عبد العزيز لا يكتفي بالخمرة بل يضع عليها التراب ويسجد عليه<sup>(٢)</sup>.

وروى أيضا أن كان عروة بن الزبير يكره الصلاة على شيء دون الأرض<sup>(٣)</sup>.

في ضوء هذه الأحاديث والروايات الإسلامية يتجلى بوضوح أن المسلمين وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ كانوا - في صدر الإسلام ومنذ تشريع السجود - يسجدون على الأرض، وينهون كل من يعمد إلى الفصل بين جبهته

---

(١) انظر: المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ١ ص ٢٩٧. وفي لفظ: "أنه كان يصلّي على الحصير ويسجد على الأرض". انظر: نيل الأوطار للشوكاني ج ٢ ص ١٢٩، وتحفة الأحوزي للمباركفوري ج ٢ ص ٢٤٩.

(٢) انظر: فتح الباري ج ١ ص ٤١٠.

(٣) انظر: المصدر السابق.

والأرض بقماش أو عازل آخر.

بناء على هذا يتضح أن السُنَّة والسيرة النبوية، وكذا السيرة العملية للصحابة والتابعين كانت هي السجود على أجزاء الأرض (مثل التراب والحجر) وبعض أجزاء النبات مثل الحصير.

### المقدمة الخامسة: ما سجد عليه أهل البيت عليهم السلام

أنَّ الشيعة الإمامية اعتبروا أحاديث أهل البيت عليهم السلام من مصادر الفقه والتشريع عندهم وذلك لأنَّ أحاديث العترة مبينة لسُنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الرؤية نابعة من أنَّ حقَّ التشريع والتقنين للمجتمع البشري خاص بالله سبحانه وحده، وقد أرسل القوانين والأحكام الشرعية إلى البشر عن طريق نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن الواضح البين أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل عترته الطاهرة عدلاً للقرآن الكريم ومبيناً للتشريعات الإلهية.

ومعناه كما أنّ القرآن مصدر للتشريع فإنّ العترة الطاهرة، كالسنة النبوية مصدر للتشريع؛ ولذلك قال الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال: "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين عليه السلام حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله، قول الله عزّ وجلّ" (١).

فقد روى الكليني بسنده عن أبي العباس الفضل بن عبد الملك قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لا تسجد إلا على الأرض أو ما أنبتت الأرض إلا القطن والكتان» (٢).

---

(١) انظر: وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٨٢ باب ٨ من أبواب صفات القاضي

ح ٢٦.

(٢) انظر: الكافي ج ٣ ص ٣٣٠.

وروى أيضا عن أبي العباس الفضل بن عبد الملك قال:  
قال أبو عبد الله

الصادق عليه السلام: «لا تسجد إلا على الأرض أو ما أنبتت  
الأرض إلا القطن والكتان»<sup>(١)</sup>.

وهناك أحاديث كثيرة تدل على المقام، في ضوء هذه  
الأحاديث المذكورة يتبين جيدا أنه لا يجوز - في نظر عترة  
الطاهرة - السجود إلا على الأرض وما ينبت منها ما عدا  
الملبوسات والمأكولات. وهذا هو الحكم الذي يستفاد من  
مجموعة أحاديث سنة رسول الله صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة عليهم السلام  
هذه خلاصة ما أوردناه من الصحاح والمسانيد فيما يصح  
السجود عليه وهي تدل على أنه لا يجوز السجود إلا على  
الأرض مباشرة أو على ما نبت منها غير مأكول ولا ملبوس  
أخذًا بأحاديث وسير المعصومين والصحابة والتابعين.

---

(١) انظر: الكافي ج ٣ ص ٣٣٠.

## لماذا تسجد الشيعة على التربة الحسينية؟

وبعد ذكر هذه المقدمات يجب البحث فيما هو السرّ في التزام الشيعة في استحباب السجود على التربة الحسينية؟

قد تبين - مما تقدم - أن السجود على الأرض مباشرة هو الأصل المعمول به على عهد رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرين عليهما السلام والصحابة والتابعين وهو الذي يلتزم به الشيعة الإمامية حتى يومنا هذا ولا يجيدون عنه قيد أنملة، فهم يسجدون على الأرض شريطة التأكد من عدم نجاستها وخلوها من الأقدار، ويستحبون من بين تراب الأرض تربة كربلاء، حيث استشهد بها أبو الأحرار وسيد الشهداء أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام الذي خرج في ثلة من أهل بيت النبوة الأطهار عليهم السلام وأصحابه الأبرار من أجل إنقاذ الإسلام والأمة من أيدي الظلم والطغيان والإثم والعدوان المتمثل في طاغية عصره وطاغوت دهره يزيد بن معاوية الذي تسلط على رقاب المسلمين بغير الحق وأذاقهم صنوفا

وألوانا من المحن والمصائب، من قتل وتشريد وانتهاك  
للحرمات والمقدسات وإهلاك للحرث والنسل وضرب  
الكعبة المشرفة بالمنجنيق وإحراقها وتدنيس حرمة المدينة  
المنورة واقتحامها وإباحتها وقتل الصحابة الأبرار فيها في  
وقعة الحرة وتخريب بيوتهم ونهب أموالهم وهتك أعراض  
بناتهم... إلى غير ذلك من الجرائم البشعة التي تقشعر  
الأبدان عند ذكرها وترتعد الفرائص من مجرد سماعها  
وتشمئز النفوس من هؤلاء المجرمين الذين اقترفوها.

وقد سجل التاريخ أروع ملحمة بطولية على أرض  
كربلاء التي ارتوت بدماء الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته  
الأطهار وصحابته الأبرار، تلك الدماء التي أريقَت على  
صعيدها من أجل عزة الإسلام وإعلاء كلمة الله في يوم  
عاشوراء وقد دلت بعض الأحاديث على فضل هذه التربة  
الطاهرة ومكانتها السامية فترى الواحد منهم يحمل معه  
تربة نقية طاهرة منها كيما يسجد عليها لله رب العالمين.

ولا شك أنه أمر مستحسن فطريا أن يتخذ المصلي لنفسه تربة طاهرة طيبة يتأكد من طهارتها بخلوها من النجاسات ولا فرق في ذلك بين أن تكون من هذه الأرض أو تلك من حيث الأصل الواجب، فهي كلها في الشرع سواء لا امتياز لإحداهن على الأخرى في جواز السجود عليها وما ذلك الحرص والاهتمام إلا لحفاظ المصلي على طهارة جسده وملبسه ومصلاه. وعليه، فإن المسلم يقوم باتخاذ صعيد طيب لنفسه يسجد عليه في حله وترحاله وفي سفره وإقامته لا سيما في حال السفر لعدم الثقة بطهارة كل أرض ينزل بها ويتخذها مسجدا من المدن والفنادق وردهات المنازل والساحات العامة والمطارات ومحطات وسائل المواصلات المختلفة التي تشهد فئات من البشر من مختلف الملل والأجناس... من المسلمين وغيرهم من أخلاط الناس الذين لا يباليون ولا يكثرثون لأمر الدين وبخاصة موضوع الطهارات والنجاسات.



فأي مانع - عندئذ - من أن يحتاط المسلم لدينه ويتخذ معه تربة طاهرة يطمئن بنقاؤها وطهارتها يسجد عليها في صلاته متوخيا الحيطة ومحترزا من السجود على الأرجاس والنجاسات التي لا تسوغ السنة الشريفة السجود عليها ولا تقبله الفطرة السليمة، لا سيما وإن أوامر الشرع الحنيف تؤكد على الاهتمام بطهارة أعضاء المصلي ولباسه وتنهى عن الصلاة في أماكن معينة لمظنة اختلاطها بالنجاسات منها: المزابل والمجازر والمقابر وقارعة الطريق والحمام ومعادن الإبل وكذلك الأمر بضرورة تطهير المساجد وتطيبها.

فعلى هذه النظرة الصائبة جرى بعض فقهاء السلف الورعين والمحتاطين لدينهم من أهل القرون الأولى وحسبك أن التابعي الفقيه الكبير المتفّق على جلالته، مسروق بن الأجدع كان يأخذ في أسفاره لبنة<sup>(١)</sup> يسجد

---

(١) أي قطعة قالبٍ مربعٍ أو مستطيلٍ مضروب من الطين.

عليها:

فقد أخرج ابن سعد في كتابه الطبقات بسنده عن قرّة بن خالد قال حدثنا محمد قال: "كان مسروق إذا خرج يخرج بلبنة يسجد عليها في السفينة" <sup>(١)</sup>.

هذا فيما يتعلق بالسجود على الأرض مباشرة من حيث أصل الوجوب وأخذ الحيطّة بحمل تربة طاهرة.

أما فيما يتعلق باستحباب السجود على تربة كربلاء فإن قاعدة التفضيل المطردة في هذه الحياة تدل عليه وتؤكدّه فضلا عن ورود بعض الأحاديث التي تعضده.

فلا شك أن الله سبحانه قد اصطفى مكة وانتجبها من بين الأماكن وجعلها مقرا لبيته الحرام الذي أوجب على الناس الحج إليه والطواف حوله وخصها بميزات معينة بوصفها حرما آمنا لا يجوز انتهاكه وما يرتبط من ذلك

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٧٩.

بشجرها ونبتها ومن نزل بها وكذلك اختار المدينة المنورة وجعلها حرما إلهيا - أيضا - يجب تعظيمه وعدم تجاوزه.

وما ورد في السنة الشريفة في إجلالها وفضائل أهلها وتربتها ومن حل بها ومن دفن بأرضها وجميع ذلك ليس إلا باعتبار الإضافة والنسبة إلى الله تعالى وكونها عاصمة لنبيه الخاتم صلى الله عليه وسلم.

بل إن قاعدة التفاضل وتفاوت الدرجات ممتدة ومطرودة على الدوام حتى بين الأنبياء والمرسلين والأوصياء والأولياء والشهداء والصالحين وأفراد المؤمنين؛ وكذلك بين الأوقات والأزمنة، لاختصاص بعضها بفضائل وخصال معينة فشهر رمضان خير الشهور وليلة القدر أفضل الليالي ويوم عرفة أفضل الأيام... وما إلى ذلك من الاختصاصات والتفاضلات بين الأعيان نتيجة تعلقها بالله سبحانه ونسبتها إليه.

وكانت تربة كربلاء هي التربة التي ضمت بين ثناياها

أطهر الأجساد وأطيبها وهم أبناء الرسول ﷺ الذين سجلوا على صعيدها أعظم صفحات البذل والتضحية في سبيل الله سبحانه واختلطت ذراتها بدمائهم الزكية التي أهرقت قربة إليه جل وعلا فحري بها أن تلازم الإنسان المسلم في حلّه وترحاله وإقامته وتجوّاله وتذكره دائما بما كتب عليها من معاني البطولة والفداء والبذل والعطاء وأن تكون نصب عينيه شاهدة عليه وكأنما تأخذ عليه البيعة كل يوم بالوفاء لتلك الدماء الطاهرة والالتزام بالخط الرسالي التضحيوي الذي سلكه أصحابها الأبرار الذين قدّموا أرواحهم قربانا إلى الله تبارك وتعالى.

إن تربة كربلاء هي رمز الجهاد الثوري الذي خاضه أهل بيت النبي ﷺ في كفاحهم المرير ضد الظلم والاستكبار والفساد والانحراف.

وهي رمز الاعتزاز بالإسلام ديننا ومنهجنا للحياة في مواجهة القوى الشيطانية التي تسعى إلى استئصاله وإقصائه

بعيدا عن ساحة الوجود.

كما أنها رمز الشجاعة والصمود في وجه الطغاة  
والمستبدين من أجل إحقاق الحق وتثبيت أركانه وإزهاق  
الباطل وتقويض بنيانه.

وما إلى ذلك من الدروس القيمة والعظات البالغة التي  
يجب ألا تغيب عن ذهن الإنسان المسلم أبد الدهر، ومن هنا  
كانت قيمة تربة كربلاء المعنوية والعبرة من الارتباط بها  
والسجود عليها؛ ولذلك جاءت الأحاديث الشريفة لتعظم  
تلك التربة الطاهرة وتُشيد بفضلها:

### فضل التربة الحسينية :

فقد روى ابن حجر الهيتمي في كتابه الصواعق المحرقة:  
«إذ دخل الحسين فاقترح فوثبَ على رسول الله ﷺ؛  
فجعل رسول الله ﷺ يلثمهُ ويقبُّله، فقال له الملك:  
«أَتَحِبُّهُ؟» قَالَ: «نعم»، قَالَ: «إِنَّ أُمَّتَكَ ستقتله وإن شئتَ

أريك المكان الذي يقتل به؛ فأراه، فجاءَ بسهلة أو تراب  
أحمر، فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها». قال ثابت: «كنا  
نقول إنها كربلاء...»<sup>(١)</sup>.

وأخرجه أيضا أبو حاتم في صحيحه، وروي أحمد نحوه،  
وروي عبد بن حميد وابن أحمد نحوه أيضا... وزاد الثاني  
أيضا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَمَّهَا، وقال: «ويح كرب وبلاء»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا روى عن ابن سعد وهو أيضا عن الشعبي: «مرَّ  
عليَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بكربلاء عند مسيره إلى صفين وحاذي نينوا - قرية  
على الفُرات - فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض، فقيل:  
كربلاء. فبكي حتى بلَّ الأرض من دُموعه، ثم قال: دخلتُ  
على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يبكي، فقلتُ: ما يبكيك؟ قال:  
كان عندي جبرئيلُ آنفاً وأخبرني أنَّ ولدي الحسين يقتلُ

---

(١) انظر: الصواعق المحرقة: ص ١٩٢.

(٢) انظر: الصواعق المحرقة: ص ١٩٢-١٩٣.

بشاطي الفُرات بموضع يقال له: كربلاء، ثم قبض جبرئيل قبضة من تراب شمّني إياه، فلم أملك عيني أن فاضتا»<sup>(١)</sup>.  
ويقول ابن حجر في موضع آخر: «فقال جبرئيل: ستقتله أمتك. فقال ﷺ ابني؟ قال: نعم وإن شئت أخبرتك بالأرض التي يقتل فيها، فأشار جبرئيل بيده إلى الطفّ بالعراق فأخذ منها تربة حمراء فأراه إياها وقال: هذه من تربة مَصْرَعِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الحاكم النيسابوري، بسنده عن أم سلمة: «أن رسول الله ﷺ اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر، ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت به المرة الأولى ثم اضطجع فأستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها، فقلت له ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: أخبرني

---

(١) انظر: الصواعق المحرقة: ص ١٩٣.

(٢) انظر: الصواعق المحرقة: ص ١٩٣.

جبرئيل عليه السلام أن هذا يقتل بأرض العراق للحسين، فقلت  
أرني تربة الأرض التي يقتل بها فهذه تربتها...». (ثم قال  
الحاكم): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين (البخاري  
ومسلم) ولم يخرجاه <sup>(١)</sup>.

وفي ضوء المجموعة الكبرى من الأحاديث الواردة في  
صحيح السنة وسننهم ومسانيدهم من هذا القبيل يتضح أن  
أرض كربلاء كانت تعد عند رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين  
والمحدثين الإسلاميين من الأماكن والبقاع المقدسة  
المحترمة، وأن تراها الطاهر المطهر يحظى بأهمية وميزة  
خاصة.

ولذا كان المسلمون الشيعة يستحبون السجود عليها في  
صلواتهم لما اختصت به من ميزات وفضائل معنوية.  
وتجب الإشارة هنا إلى أن ذلك ليس من الفرض المحتم

---

(١) انظر: المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٣٩٨.



عند الشيعة ولا من واجبات الشرع والدين ولا يلتزمون به فيما بينهم؛ بل إنه من قبيل الاستحسان والاستحباب فحسب.

### التربة الحسينية في كلام أهل البيت عليهم السلام

وأما عن أهل البيت عليهم السلام فقد ثبت سجودهم لله على تربة السبط الزكي الطاهر، فإنَّ أوَّل من بادر إلى استخدام التربة الحسينية والسجود عليها هو ابنه الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام <sup>(١)</sup>.

وهو الذي وصلت إليه الإمامة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، فبعد أن دفن الإمام السجاد عليه السلام أباه وأهل بيته وأنصاره، أخذ قبضة من التربة التي وضع عليها الجسد الشريف، فشدّ تلك التربة في صرة وعمل منها سجادة

---

(١) انظر: مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٥١.

ومسبحة؛ ولما رجع الإمام السجاد عليه السلام هو وأهل بيته إلى المدينة، صار يتبرك بتلك التربة ويسجد عليها، فأول من صلى على هذه التربة واستعملها هو الإمام زين العابدين عليه السلام <sup>(١)</sup>.

ثم تلاه ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام فبالغ في حث أصحابه عليها ونشر فضائلها وبركاتها، ثم زاد على ذلك ولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام فإنه نوه بها لشيئته، كما وقد التزم الإمام عليه السلام ولازم السجود عليها بنفسه <sup>(٢)</sup>.

وكان للإمام الصادق عليه السلام خريطة من ديباج صفراء فيها من تراب أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وكان إذا حضرته الصلاة صبّه على سجادته وسجد عليه لله عزّ وجلّ، كما أن المرويّ

---

(١) انظر: بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٦ ح ٧٨.

(٢) انظر: الأرض والتربة الحسينية، للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ص

عنه عليه السلام أنه كان لا يسجد إلا على تربة الحسين عليه السلام تذلاً لله واستكانهً إليه، ولم تنزل الأئمة من أولاده تحرك العواطف وتحفز الهمم وتوفر الدواعي إلى السجود عليها والالتزام بها وتبين تضاعف الأجر والثواب في التبرك بها والمواظبة عليها حتى التزمت الشيعة إلى اليوم هذا الالتزام مع عظيم الاهتمام، ولم يمض على زمن الإمام الصادق عليه السلام قرن واحد حتى صارت الشيعة تجعل منها ألواحاً وتضعها في جيوبها كما هو المتعارف اليوم <sup>(١)</sup>.

وفي توقيعات وجوابات الإمام المهدي عجل الله فرجه لمحمد بن عبدالله بن جعفر الحميري، وقد سأله عن السجود على لوح من طين القبر الشريف أي التربة الحسينية -

---

(١) انظر: الأرض والتربة الحسينية، للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

فأجاب عليه السلام: "يجوز ذلك وفيه الفضل" <sup>(١)</sup>.

## ثانياً: الالتزام بالسجود على التربة الحسينية

التزام الشيعة الإمامية بالسجود على التربة الحسينية لا يعني اعتقادهم بعدم صحّة السجود على التربة الحسينية، إذ لا وجود لهذا القول عند فقهاءهم أجمع، بل لا توجد رواية واحدة في الحديث الشيعي تحصر السجود بالتربة الحسينية، نعم وردت روايات كثيرة متواترة عن أهل البيت عليهم السلام في بيان فضل التربة الحسينية. وطهارتها واستحباب السجود عليها، مع كونها أسلم من غيرها من جهة النظافة والنزاهة المؤكدة فيها ونحو ذلك من المسوّغات المشروعة والتي يمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

١. اطمئنان الساجد على التربة الحسينية بأنّه يسجد لله

---

(١) انظر: بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٥ ح ٧٤.

على قطعة طاهرة من الأرض لا تختلف عن غيرها من تراب  
الأرض إلا من الناحية المعنوية.

٢. التأسّي بأهل البيت عليهم السلام من جهة الاقتداء بأفعالهم  
في السجود على التربة الحسينية، وبأقوالهم الثابتة في الحثّ  
على السجود عليها أيضاً.

٣. صلة التربة الحسينية بالمعاني الروحية الرفيعة التي  
ندب الإسلام إليها، فهي تُذكر بالتضحية والصمود من  
أجل العقيدة والتفاني المنقطع النظير من أجل إعلاء كلمة  
الحق وإزهاق الباطل.

وما أجمل بالمصلي أن يتوجه لله عزّ وجلّ بقلب خالص من  
الرياء، ويتذكر ما صنعه الحسين عليه السلام في عاشوراء من أجل  
الدفاع عن الإسلام وتحطيم هياكل الجور والفساد والظلم  
والاستبداد، مُجدداً العهد مع الله عزّ وجلّ - وهو واضحٌ  
جبهته على تراب الحسين عليه السلام - بأنه سيمضي في طريقه ولا  
يخشى في الله لومة لائم.

### ثالثاً: السرّ في تقبيل الشيعة للتربة الحسينية

أن تقبيل الشيعة للتربة الحسينية نشأ من اقتدائهم بفعل رسول الله ﷺ، كما ثبت ذلك من طرق أهل السنة - كما رواه جمعٌ من حفاظهم - بأن رسول الله ﷺ لما جاءه جبرئيل عليه السلام بقبضة من تراب كربلاء، شمّها وقبلها وأخذ يُقلّبها بحُزنٍ بالغ، حتّى قالت له أمّ سلمة: ما هذه التربة يا رسول الله؟ فقال ﷺ: أخبرني جبرئيل أن ابني هذا - يعني الحسين عليه السلام - يُقتل بأرض العراق، فقلت لجبرائيل: أرني تُربة الأرض التي يُقتل بها، فهذه تربتها<sup>(١)</sup>.

وفي الأخرى عن أبي وائل شقيق أمّ سلمة: ثمّ قال لها رسول الله ﷺ: ودیعة عندك هذه - فشمّها رسولُ الله ﷺ وقال: ويحّ كربٍ وبلاء! ثمّ قال ﷺ: يا أمّ سلمة، إذا

---

(١) انظر: المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٣٩٨. المعجم الكبير للطبراني

تحوّلت هذه التربة دماً، فاعلمي أنّ ابني قد قُتل (١).  
 قال أبو وائل: فجعلتها أمّ سلمة في قارورة، ثم جعلت  
 تنظر إليها كلّ يوم وتقول: إنّ يوماً تُحوّلين دماً ليومٍ عظيم (٢).  
 فتأسياً واقتفاءً لأثر النبي ﷺ أن الشيعة يقبلون  
 ويشمّون ويدخرون ويسكبون الدموع على التربة الحسينية،  
 فهي سنّة رسوله وأهل بيته ﷺ، ولكلّ مسلم في رسول  
 الله ﷺ أسوة حسنة.

ولا شك في أنّ الاقتداء بسنّة الرسول ﷺ من  
 الواجبات الثابتة عند جميع المسلمين بلا خلاف، قال تعالى:  
 ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

(١) انظر: المعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١٠٨.

(٢) انظر: المعجم الكبير للطبراني ج ١ ص ١٢٤. مقتل الحسين ﷺ

للخوارزمي ج ١ ص ٢٣١.

وَذَكَرَ اللهُ كَبِيرًا ﴿١﴾ .

وَرُوي أَنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما نزل كربلاء في مسيره إلى صفين، وقف هناك ونظر إلى مصارع أهله وذريته وشيعته ومسفك دماء مهجته وثمره قلبه، فأخذ من تربتها وشمها قائلاً: واهاً لك أيتها التربة، ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب. ثم قال: طوبى لك من تربة عليك تهراق دماء الأحبة <sup>(٢)</sup> .

بل وحتى لو لم يرد في ذلك شيء عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وعترته المعصومين عليهم السلام، فلا ضير في تقبيل التربة الحسينية أصلاً، وأي محذور في تقبيل شيء يذكرك

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) انظر: مجمع الزوائد للهيتمي ج ٩ ص ١٤٨ و ١٥٧. وتهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج ٦: ص ٧٢ ح ١٣٨، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٤٤: ص ٢٥٣، وكامل الزيارات لابن قولويه: (٤٥٣)



بمُثل الإسلام العليا وقيمه الراقية التي تجسّدت في شخص الإمام الحسين عليه السلام على أن تقبيل التربة الحسينية ليس للتربة ذاتها، وإنما لإضافتها إلى الإمام الحسين عليه السلام الذي تكمن في اسمه كلُّ فضيلةٍ، مع ما توحيه تلك التربة لكلِّ غيور على الإسلام من ضرورة الجهاد في سبيل الله والدفاع عن حياض العقيدة مع نصره الحقّ أينما كان.

#### رابعاً: حكم السجود على التربة الحسينية

بعد ثبوت سيرة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام - ابتداءً من الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وانتهاءً بالإمام المهدي عليه السلام - في السجود على التربة الحسينية بما ليس فيه أدنى مجال للشكّ، وبعد ثبوت كون السجود على مُطلق الأرض هو الفرض النازل من الله تعالى على عباده والمؤكّد بسنة نبيه صلى الله عليه وآله .. سيّضح أنّ السجود على التربة الحسينية ليس فرضاً، وإنما من المستحبات الأكيدة، وهذا هو ما يقوله

جميع الشيعة بلا استثناء اقتداءً بأهل البيت عليهم السلام، ولهذا تراهم يسجدون على التربة الحسينية كما يسجدون على غيرها مما صحَّ السجود عليه، كالتراب والرمل والحصى أو مما أنبت الأرض مما لا يؤكل ولا يلبس.

ومع هذه الحقيقة قد ذهب المتطرفون من خصوم الشيعة إلى القول بأن الشيعة لا تميز السجود على غير التربة الحسينية!! بل وصفوا سجودهم على التربة الحسينية بالسجود لغير الله! بل لم يُفرقوا - جهلاً - بين السجود على الشيء وبين السجود للشيء؟! إذ لو جاز أن يقال إن الشيعة تسجد للتربة الحسينية؛ لجاز القول بأن العامة تسجد للأرض، أي تسجد لما هو أدنى وأقلّ منزلة من التربة الحسينية، لثبوت شرف التربة الحسينية على غيرها من الأرض.

هذا مع وجود تصريح جميع فقهاء الشيعة بأنه يحرم السجود لغير الله، أن من يفعل ذلك فقد كفر وخرج عن

دين الإسلام؛ لأنَّ السجود عبادة فلا تصحَّ لأحد سواه  
تعالى مهما كان نبياً أو وصياً.

قال الشيخ عبدالحسين الأميني رحمته الله: "وليس اتِّخاذ تربة  
كربلاء لدى الشيعة من الفر المحتم، ولا من واجب الشرع  
والدين، ولا ممَّا ألزمه المذهب، ولا يفرِّق أيَّ أحد منهم -  
منذ أوَّل يوم - بينها وبين غيرها من تراب الأرض في جواز  
السجود عليه، خلافاً لما يزعمه الجاهل بهم وبآرائهم، وإنَّ  
هو عندهم إلاَّ استحسان عقلي ليس إلاَّ لما هو أولى بالسجود  
لدى العقل والمنطق والاعتبار وحسب وكثير من رجال  
المذهب يتخذون معهم في أسفارهم غير تربة كربلاء ممَّا  
يصحَّ السجود عليه، كحصير طاهر نظيف يُوثق بطهارته، أو  
حُمْرة مثله ويسجدون عليها في صلواتهم" <sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: السجود على التربة الحسينية عند الشيعة الإمامية، للشيخ  
عبدالحسين الأميني ص ٦٧.

## خامساً: آثار وفوائد التربة الحسينية والسجود عليها

للتربة الحسينية المباركة شرف عظيم ومنزلة رفيعة، كما  
أكدت عليها الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، فهي:

### ١- شفاء من كلِّ داء، وأمان من كلِّ خوف

فقد ثبت أن للتربة الحسينية أثراً في علاج الكثير من  
الأمراض التي تعسّر شفاؤها بواسطة العقاقير الطبية، وقد  
جرب الكثير من محبّي الإمام الحسين عليه السلام ونالوا الشفاء  
ببركة صاحب التربة المقدّسة، فقد روى محمد بن مسلم عن  
الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام أن للإمام الحسين عليه السلام ثلاث  
فضائل ومميّزات ينفرد بها عن غيره من جميع الخلق، مع ما له  
من الفضائل الأخرى التي يصعب عدّها، قال عليه السلام: «أن  
جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند

قبره»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «في طين قبر الحسين عليه السلام شفاءٌ من كلِّ داء، وهو الدواء الأكبر»<sup>(٢)</sup>.

علمًا أنَّ الأخبار تضافرتُ بحُرمة أكل الطين، إلّا من تربة قبر الإمام الحسين عليه السلام بأداب مخصوصة وبمقدار معين، وهو أن يكون أقلّ من حِمصة، وأن يكون أخذها من القبر بكيفية خاصّة وأدعية معيّنة<sup>(٣)</sup>.

وروي أنّه لما ورد الصادق عليه السلام إلى العراق اجتمع الناس إليه فقالوا: يا مولانا تربة قبر الحسين عليه السلام شفاء من كل داء! فهل هي أمان من كل خوف؟ فقال: نعم، إذا أراد أحدكم أن يكون آمنًا من كل خوف فليأخذ السبحة تربته ويدعو

---

(١) انظر: إعلام الوری بأعلام الهدی للطبرسي ج ١ ص ٤٣١.

(٢) انظر: من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٦٢. تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٢٦.

(٣) انظر: من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٦٢.

بدعاء ليله المبيت على الفراش ثلاث مرات ثم يقبلها ويضعها على عينه ويقول: اللهم إني أسألك بحق هذه التربة وبحق صاحبها وبحق جده وبحق أبيه وبحق أمه وبحق أخيه وبحق ولده الطاهرين اجعلها شفاء من كل داء وأماناً من كل خوف وحفظاً من كل سوء ثم يضعها في جيبه فإن فعل ذلك في الغداة فلا يزال في أمان الله حتى العشاء؛ وإن فعل ذلك في العشاء فلا يزال في أمان الله حتى الغداة<sup>(١)</sup>.  
وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه ما كان يبعث إلى أحد شيئاً من الثياب أو غيره إلا ويجعل فيه الطين - يعني طين قبر الحسين عليه السلام وكان يقول عليه السلام: هو أمانٌ بإذن الله<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: الأمان من أخطار الأسفار والأزمان لابن طاووس ص ٤٧. فلاح

السائل لابن طاووس ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) انظر: كامل الزيارات ص ٢٧٨.

## ٢- اتّخاذها مَسْبِحةً :

والملاحظ أنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يُوصون شيعتهم بضرورة الاحتفاظ بمسبحة من طين قبر الإمام الحسين عليه السلام واعتبارها أحد الأشياء الأربعة التي لا بدّ وأن تُرافق المؤمن في حِلِّه وترحاله، قال الإمام الصادق عليه السلام: « لا تستغني شيعتنا عن أربع: حُمْرَة يصلي عليها، وخاتم يتختم به، وسواك يَسْتاك به، وسبحة من طين قبر الحسين عليه السلام » <sup>(١)</sup>.

وثواب التسبيح بمسبحة مصنوعة من طين قبر الإمام الحسين عليه السلام بالاستغفار والذِّكر ما لا ينبغي الغفلة عنه؛ لعظمة ما يترتب عليه من فوائد وآثار، رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ أدار سبحةً من تُربة الحسين عليه السلام مرّةً واحدةً بالاستغفار أو غيره، كتب الله له سبعين مرّة» <sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ص ٧٥.

(٢) انظر: مكارم الأخلاق للطبرسي ص ٣٠٢.

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «وَمَنْ كَانَ مَعَهُ سَبْحَةٌ مِنْ طِينِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام كُتِبَ مُسَبَّحًا وَإِنْ لَمْ يُسَبِّحْ بِهَا»<sup>(١)</sup>.

### ٣- السجود عليها يخرق الحُجُب السبعة :

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ السَّجُودَ عَلَى تَرْتِيبَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - الْحُسَيْنِ - عليه السلام يَخْرِقُ الْحُجُبَ السَّبْعَةَ»<sup>(٢)</sup>.

وقد علّق الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء على هذا الحديث بقوله: «ولعلّ المراد بالحُجُب السبعة هي الحاءات السبعة من الرذائل التي تحجب النفس عن الاستضاءة بأنوار الحق، وهي: الحِقْد، الحَسَد، الحِرْص، الحِدَّة، الحِمَاقَة، الحيلة، الحِقارة. فالسجود على التربة من عظيم التواضع، والتوسّل بأصفياء الحقّ يمزّقها ويمرّقها ويبدلها بالحاءات السبع من

---

(١) انظر: من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٧٤ ح ٤٠.

(٢) انظر: بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٥٣.



الفضائل، وهي: الحِكمة، الحزم، الحِلْم، الحنان، الحِصانة، الحياء، الحُبّ»<sup>(١)</sup>.

بقي سؤال ربما يَختلج في نفس الإنسان وهو: لماذا توجد كتابة على قوالب التُّرْب الحسينية التي تسجد الشيعة عليها؟ والجواب أوّلاً: إنه ليس جميع أقسام القوالب التُّرْب الحسينية مكتوب عليها، فإن هناك كثيراً من قوالب التُّرْب ليس عليها حرف واحد.

وثانياً: الكتابة على بعضها سبحان ربي الأعلى وبحمده، رمزاً لذكر السجود، وعلى بعضها إن هذه التربة متخذة من تراب أرض كربلاء المقدسة.

وخلاصة الكلام: أن السجود واجب في الصلاة المفروضة، وهي لا تصح إلا على الأرض وما أنبتت من غير المأكول والملبوس؛ فترسّخ وتأكّد محبوبة السجود على التربة

---

(١) انظر: الأرض والتربة الحسينية: ص ٣٢.

الحسينية عند الشيعة الإمامية حتى لازمهم؛ لكون السجود  
على التربة الحسينية عامل مساعد في تيسير أداء الواجب.

## المحتويات

المقدمة ..... ٣

معنى العبادة: ..... ٧

الفرق بين العبادة والطاعة: ..... ١١

### زيارة القبور

أولاً: القرآن الكريم ..... ١٤

ثانياً: السنّة النبويّة: ..... ٢٨

استحباب زيارة قبر النبي ﷺ: ..... ٣١

التوسل بالعظماء والأولياء على ضوء الآيات

القرآنية والروايات الإسلامية

تمهيد: ..... ٣٥

التوسل والاستغاثة في القرآن والروايات: ..... ٤١

- الروايات الواردة في باب التوسل والاستغاثة: ..... ٤٩
- المذهب الحنفي: ..... ٦٢
- المذهب المالكي: ..... ٦٢
- المذهب الشافعي: ..... ٦٣
- المذهب الحنبلي: ..... ٦٣
- ديدن علماء المسلمين التوسل بالنبي ﷺ: ..... ٦٤
- تعظيم القبور الصالحين والتبرك بها والمكث عندها: ..... ٧٠
- سيرة المسلمين في التبرك ..... ٧٤
- أولاً: ..... ٧٤
- الروايات الواردة في باب التبرك بالأحياء: ..... ٧٦
- تبرّكهم بجسده الشريف ﷺ: ..... ٨٠
- تبرّكهم بشعره ﷺ: ..... ٨٠
- تبرّكهم بعرقه ﷺ: ..... ٨٢

- ٨٣ ..... تبرّكهم بماء وضوئه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
- ٨٩ ..... ثانياً :
- ٩٢ ..... التبرّك بالشرب من قدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
- ٩٤ ..... تبرّكهم بمواضع يده وفمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
- ٩٦ ..... تبرّكهم بعصاه وملابسه وخاتمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
- ١٠١ ..... التبرّك بمنبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
- ١٠٤ ..... تبرّكهم بقبره الشريف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
- ١١٣ ..... تبرّك الصحابة بأماكن صلى فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
- ١٢٠ ..... التبرّك بالصحابة والصالحين :
- ١٢٢ ..... ومن أمثلة تبرّك الصحابة ببعضهم وتبرّك التابعين بهم :
- ١٢٩ ..... التبرّك بقبور الصالحين وآثارهم :
- ١٣٠ ..... ١- بلال الحبشي :
- ١٣٠ ..... ٢- أبو أيوب الأنصاري :

- ٣- صهيب الرومي: ..... ١٣٠
- ٤- حمزة بن عبد المطلب: ..... ١٣١
- ٥- الحسين بن عليّ عليه السلام: ..... ١٣٢
- ٦- عمر بن عبد العزيز، الخليفة الأموي - المتوفى سنة ١٠١ هـ: ..... ١٣٣
- ٧- عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: ..... ١٣٣
- ٨ - قال العلامة أحمد بن محمد المقري المالكي - المتوفى سنة ١٠٤١ هـ: ..... ١٣٤
- قال القاضي عياض المالكي في الشفا: ..... ١٣٦
- التبرّك عند أهل البيت عليهم السلام ..... ١٤٤
- تبرّكهم بقبر النبي صلى الله عليه وآله ..... ١٤٥
- تبرّكهم بأثار بعضهم عليهم السلام ..... ١٤٧
- التبرّك والاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام ..... ١٤٩

التبرّك بكسوة الكعبة: ..... ١٥٧

### السجود على التربة الحسينية

المقدمة الأولى: مشروعية السجود على التربة ..... ١٦١

المقدمة الثانية: ما سجد عليه الصحابة ..... ١٦٥

المقدمة الثالثة: السيرة النبوية فيما سجد عليه ﷺ ..... ١٧٦

المقدمة الرابعة: سيرة الصحابة والتابعين ..... ١٨٣

المقدمة الخامسة: ما سجد عليه أهل البيت عليهم السلام ..... ١٨٧

لماذا تسجد الشيعة على التربة الحسينية؟ ..... ١٩٠

فضل التربة الحسينية: ..... ١٩٧

التربة الحسينية في كلام أهل البيت عليهم السلام ..... ٢٠١

ثانياً: الالتزام بالسجود على التربة الحسينية ..... ٢٠٤

ثالثاً: السرّ في تقبيل الشيعة للتربة الحسينية ..... ٢٠٦

رابعاً: حكم السجود على التربة الحسينية ..... ٢٠٩

خامساً: آثار وفوائد التربة الحسينية والسجود عليها ... ٢١٢

١- شفاء من كلِّ داء، وأمان من كلِّ خوف ..... ٢١٢

٢- اتِّخاذاها مِسْبَحة: ..... ٢١٥

٣- السجود عليها يخرق الحُجُب السبعة: ..... ٢١٦

المحتويات ..... ٢١٩